الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

"السنة الثلاثون" العدد: "1485" الأحد 2016/4/17م - 10رجب1437هـ

16 صفحة

25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

الافتتاحية

• د.نضال الصالح

خواء نقدي

أجل خواء، ولو كان ثمة مفردة قالت معاجم اللغة بسواها وممّا ينتمي إلى مجالها الدلالي، لكانت، من دون ريب، علامة لغوية لما انتهى إليه حال النقد الأدبي في السنوات الأخيرة.

الخواء، في معاجم اللغة، مصدر الفعل الثلاثي الذي يُصطلح نحوياً عليه باللفيف المقرون، خوى، والذي من معانيه: الخلو، والتهدّم، والهلاك، والسقوط، والخراب، والقِدم، والضمور، والفراغ. والمتتبّع لحال النقد الادبي في سورية في السنوات الأخيرة، ولحاله منذ نشأته، ومن ثمّ لتحولاته ومغامراته وأعلامه، سينتهي، من دون ريب أيضاً، إلى أنّ ما سبق من تلك المعاني، وسواها، صفاتٌ لموصوف واحد، هو تلك الحال المشار إليها آنفاً، بل هو تلك الصفات بتمامها وهي تجهر، بدرجات متفاوتة فيما بينها، بما يتجلّى بوصفه واقعاً، أو راهناً، جديراً بالرثاء لتلك الحال، أي حال الأداء النقديّ الذي تطامنَ، وتقاصرَ، ووهنَ حتى لم يكد يرى، بعد أن كان متوهجاً في غير عقد من تاريخ الثقافة السورية، ولا سيمّا السبعينيات والثمانينات لغير عامل ومرجع وسبب، وعلى غير مستوى: التحولات، والمغامرات، والأعلام.

فعلى المستوى الأول، التحولات، شهدت الحركة النقدية في سورية، منذ نشأتها، استجابات لافتة للنظر لمنجز الآخر النقديّ واشتغالات نقدية مهمة من خلال ذلك المنجز، وعلى المستوى الثاني، المغامرات، بدت تلك الاستجابات مقدّمات أولى للبحث عن هوية خاصة بالكتابة النقدية العربية، أمّا على المستوى الثالث، الأعلام، والعلامات على نحو أدق، فإنّ غير كتاب، لا مقالاً بنفسه، سيضيق لابدّ بالأسماء وحدها، فكيف إن كان الأمر يعني محاولة، مجرّد محاولة، ومثالاً مجرّد مثال، لما أنجزته تلك العلامات في هذا المجال!

تلك هي الحال حتى نهاية الثمانينيات، والنصف الأول من التسعينيات إلى حد ما، أمّا بعد ذلك، فقد أخذ الخطّ البياني المحدّد لمسار تلك الحال بالانحدار سريعاً، وعلى نحو لم يعد الحديث ممكناً معه عن أداء نقديّ جدير بعدّه نقداً بحقّ، أو عن منجز نصّيّ جدير بانتسابه إلى النقد، سوى كونه حديثاً عن شيء موجود وغير موجود بآن، أو عن ظلّ شيء لا الشيء نفسه.

ومهما يكن من أمر أنّ ثمة استثناءات تنفي هذه القاعدة، وبهذه الدرجة أو تلك، فإنّ واقع الحال ينفي أن تكون هذه الاستثناءات قوّة لها حضورها أو أثرها في الحياة الثقافية السورية، بعد أن ازدحمت هذه الحياة بذلك الكمّ المرعب بحقّ من الواهمين بنسبتهم إلى النقّاد، ومن المصدّقين بأولئك، والمصادقين على ما «تجود» أوهامهم به من القول في هذا المجال، أيّ فيما يزعم مرسله ومستقبله بوصفه نقداً، على حين أنه في الواقع ليس سوى هذيان يشبه ما يصدر عن المحموم عندما تحدق الحمّى عليه من جهاته كلّها، وسوى إنشاء يشبه ما استقرّ من الوصف عن الإنشاء بمعناه الشائع لا بمعناه الذي تحيل عليه المدوّنات القديمة.

ومن مرجعيّات هذه الحال تلك الاختلاطات التي تزداد ضراوة في المشهد الثقافيّ السوريّ، والتي مكّنت أولئك الواهمين والمصدّقين والمصادقين من منابر النشر ووسائل الاتصال الثقافيّ، ومن مرجعياتها أيضاً انحسار الدور المنوط بالمؤسسة الجامعية في هذا المجال، والذي أتاح هامشاً مترامي الأطراف لكلّ من وسوست أوهامه له بوصفه ناقداً، ولا سيّما بعد أن ارتضى الكثير من حملة الشهادات العالية في مجال النقد الاكتفاء بهذه الشهادات التي بلغتهم حقّاً أو زيفاً بدور «الحامل» للشهادة لا الجدير بما تحيل عليه من ضرورات قال بها الأقدمون ممّا يعني فضل العلم وواجب العالِم.

وبعد، فأيّ استعارة تليق بحال النقد أبلغ من هذا التشبيه: «كأعجاز نخل خاوية»!

«مجلس الشعب السوري... هل من خطوات حقيقية لتطوير الواقع؟!..».

• د.إبراهيم زعرور ـــــ ص 2

يحتفل البعثيون في قطرنا العربي السوري، وأينما تواجدوا على امتداد ساحة وطنهم العربي الكبير بذكرى تأسيس بعثهم العربي الاشتراكي.

• د.علي دياب ـــــ ص3

الضمير الوطني دائماً يمنح المكافحين في هذا البلد وسام العقل الذي لا يساوم على الأرض، والعرض، والكرامة.

• د. فايز عز الدين ـــــ ص4

تحمل مفردة "التثاقف" معاني عدة في القاموس، كثير منها إيجابي، يحيل إلى معنى التبادل الثقافي.

• وليد أبوبكر ـــــ ص6

الملتقى الأدبي الثقافي الدّوري لفرع الاتحاد في دمشق يعقد جلسته الثانية

عُقدت الجلسة الثانية للملتقى الأدبيّ الثقافيّ الدوريّ لفرع دمشق لاتّحاد الكتاب العرب، في موعدها يوم الاثنين الأخير من شهر آذار (٢٨-٣-٢٠١٦)، الساعة الثانية من بعد الظهر، في مقرّ الفرع بدمشق، بحضور هيئة الفرع وإشرافها برئاسة الأستاذ محمّد الحوراني، وقد أدار اللقاء وقدّم المشاركين فيه الشاعر قحطان بيرقدار، وأدار الحوار النقديّ القاص أيمن الحسن.

تميّز الملتقى بالحضور المميّز والفاعل، ومن الحاضرين: "طارق الكردي، سهير فليون، نور الموصلي، عواطف بركات، نجوى هدبه، هناء داوودي"

..... البقية في الصفحة ١٦

مجلس الشعب السوري...
هل من خطوات حقيقية لتطوير الواقع...

• د.إبراهيم زعرور

رغبة منه في تطوير العمل المؤسساتي والوقوف على السلبي لتجاوزه، وتعزيز كل ما هو إيجابي في عمل مجلس الشعب، أقيمت في فرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب ندوة حوارية تفاعلية بعنوان:

«مجلس الشعب السوري...

هل من خطوات حقيقية لتطوير الواقع؟؟!!..»

وقد استقطبت هذه الندوة العديد من المفكرين والمثقفين من أعضاء اتحاد الكتاب العرب وغيرهم من الفئات المهتمة.

شارك في هذه الندوة السيدات والسادة: (د. نبيل طعمة، د.إبراهيم زعرور، د.نورا أريسيان، د.سليم بركات، د.عبد الله الشاهر...).. أدار الندوة الدكتور إبراهيم زعرور (عضو مجلس الشعب سابقا)، طرحت الندوة العناوين الفرعية التالية:

1 - (ما الذي سيقدمه النائب في مجلس الشعب للمواطن السوري ثقافياً وسياسياً ومعيشياً؟)

2 -(هل صار مجلس الشعب السوري عاجزاً عن محاسبة الحكومة؟!)

3- (مشاركة المرأة في تفعيل العمل التشريعي).

4 - (مجلس الشعب السوري بين الواقع والطموح).

5 - (هل تراجع الأداء البرلماني في سورية؟)

في البداية، رحب الدكتور إبراهيم زعرور بالحضور، وتوجه بالشكر لفرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب لاهتمامه بإقامة هذه الندوة الحوارية المخصصة لانتخابات مجلس الشعب.. ثم تحدث عن أهمية مجلس الشعب، الذي يمثل السلطة التشريعية، إحدى أهم سلطات الدولة الثلاث وفقاً لدستور الجمهورية العربية السورية، وأشار د.زعرور إلى ضرورة العمل على حل الإشكالية القائمة والملتبسة بين عمل السلطات بحيث لا يطغى دور ووظيفة السلطة التنفيذية على حساب السلطتين التشريعية والقضائية، وأكد أن نظام الحكم في سورية رئاسي، أي أن السيد رئيس الجمهورية يرأس السلطات الثلاث، يعاونه مجلس الشعب في التشريع، ومجلس الوزراء في التنفيذ، والمجلس الأعلى للقضاء في السلطة القضائية.

وأكد السادة المنتدون على ضرورة أن تقوم السلطة التشريعية بكامل واجباتها المنصوص عنها في الدستور ولجهة التبني الكامل لقضايا وهموم وخدمات المواطنين، ومطالبة الحكومة بالعمل على تحسين الواقع الاقتصادي والمعيشي والثقافي والتربوي والتعليمي والصحي للمواطنين، وأن يتجه أعضاء المجلس والسلطة التشريعية لمحاسبة المقصرين والفاسدين واستجواب أعضاء الحكومة بقصد حجب الثقة عن الوزير، أو كامل الوزراء، حسب مقتضيات العمل، ووفقاً للدستور والمصلحة العامة، ومصلحة الشعب، ولماذا لا يساعد مجلس الشعب السيد رئيس الجمهورية في تحمل مسؤولية محاسبة الوزراء، وإعفاء المقصرين منهم من مناصبهم وفق الأصول والقواعد، كما أكد السادة المنتدون على دور المرأة في المجلس والمجتمع ومؤسسات الدولة وأن تكون إلى جانب الرجل في المسؤولية الكاملة، لأن هذا المجلس وما سبقه لم يرتق لمستوى الطموح الذي ينتظره الشعب السوري، وخاصة في هذه الحرب العدوانية الإرهابية على سورية والوقوف إلى جانب الدولة ومؤسساتها وفي مقدمتها الجيش العربي السوري، والقوى الحليفة له، حيث إن الإرهاب المستمر منذ خمس سنوات لم يشهد التاريخ له نظيراً أو مثيلاً لا في تاريخ سورية والوطن العربي فحسب وإنما في تاريخ البشرية، ونوّه بعض المنتدين إلى ضرورة أن يكون لذوي الشهداء فرصة تمثيل هذه الشريحة التي ضحت بخيرة أبنائها في مجلس الشعب، وأجمع السادة المنتدون على أن مجلس الشعب كسلطة تشريعية وأعضاء مجلس الشعب بما يملكون من صلاحية ودور ومسؤولية وفق الثقة التي منحهم إياها الشعب ووفق الدستور لم يقم بالواجب على الوجه الأكمل، ولم يواجه سياسة الحكومة التي أضرت بمصالح الشعب السوري على امتداد عقود وإلى اليوم أيضاً.. وتقصيرها في حل العديد من الأمور المهمة العالقة كالفساد والغلاء المعيشي والاحتكار والروتين والبيروقراطية والإهمال وغياب الشعور بالمسؤولية، وفشل الحكومة أيضاً بمعالجة الأوضاع المعيشية بالغة الصعوبة والتعقيد، وأيضاً فشل الحكومة في السيطرة على سعر الصرف للنقد الوطني السوري حيث تراجعت الليرة السورية أمام العملات الأجنبية وضعفت القوة الشرائية لها، وصار راتب العامل في الدولة لا يكفيه لمدة أسبوع واحد فقط، وإذا استمرت الحكومة بهذه السياسة فمن الممكن انهيار الاقتصاد الوطني والعملة الوطنية وقد يتطور الأمر إلى وضع كارثي أكثر من هذا الوضع الذي نعيشه اليوم.

ثم عقب على الندوة عدد من الحضور (بلغ 12 متحدثاً) حيث أكدوا جميعاً على ضرورة تطبيق مبدأ المحاسبة، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومعالجة أوضاع المواطنين المعيشية ووقف التدهور الاقتصادي، وأن يقوم مجلس الشعب وأعضاء المجلس كسلطة تشريعية بكامل الواجبات بمواجهة السلطة التنفيذية (الحكومة ورقابتها)، ولا سبيل للخروج من هذه الأزمة التي نعيشها إلاّ إذا تعاون الجميع من أجل سورية موحدة وقوية وتعددية سياسية واقتصادية بمواجهة حرب الإبادة وتهديد المصير والمستقبل للجميع دون استثناء بما فيها الحضارة والتاريخ والثقافة والهوية/بكل الصراحة والوضوح والمسؤولية، ودعوة للجميع من أجل الوطن (وطن الكرامة والعزة والفخار).

قنوات الحرب ...
رادارات التخريب !

• محمد عادل

في زمن إعلام العولمة، زمن بلا أخلاق ولا قيم، زمن ما سمي بالحرب الناعمة وما أدراك ما الحرب الناعمة، وهي أخطر من أسلحة الدمار الشامل، الذي كان يروج لها الغرب في العراق وهي غيرموجودة أصلا... والجمرة الخبيثة، والصواريخ بعيدة المدى ومدافع يوم القيامة ... والأخطار هي التي تهدد مصير العالم وطبعا هي آتية من الوطن العربي هو أن تموت كما يريد أعداؤك ، بصمت ومن دون ضجيج ومن دون ثمن وبلا مُسوّغ! .... لا لدور الصحافة ... لا لدور الكلمة الملتزمة والحرة ...لا لأي فكر حر يقاوم ما يمارسه مفكرو... التوحش الإمبريالي على الصعيدين الاقتصادي والعسكري ....

> الكذب وتأليف الأحداث والروايات الموجهة إحدى ركائز الحرب المدمرة التي تشن على وطننا العربي بلا رحمة وبلا أخلاق.

أنصتوا جيدا لما يقوله المتحدث باسم الإدارة الأمريكية أو البنتاغون.... قتلنا الرجل الثاني في تنظيم داعش... قتلنا المسؤول المالي، ثم يتابع في اليوم التالي قتلنا والي الرقة.... وبعد يوم أو يومين قتلنا والي الرمادي.... ثم بعد عدة أيام قتلنا الرجل الثالث في تنظيم خراسان وما أدراك ما تنظيم خراسان.... ثم يباغتك البنتاغون الصادق جدا في تصريحاته كما يقول.... قتلنا أبو عمر الشيشاني.... وفي اليوم التالي يظهر أبو عمر الشيشاني... وطبعا يكون شخص آخر غيره لكن لزوم الحرب الناعمة والتصوير والإخراج... والإيحاء عادة من بريطانيا أم الإرهاب وصانعة الفتن.... من الهند وحتى الصين وصولاً إلى وطننا العربي ، بريطانيا صانعة الحروب والانفصال والخراب في كل إنحاء العالم ...

الكذب وتأليف الأحداث والروايات الموجهة إحدى ركائز الحرب المدمرة التي تشن على وطننا العربي بلا رحمة وبلا أخلاق... وبطريقة متوحشة لم يسبق لها مثيل.... في كل ثورات وانتفاضات الشعوب في العالم التي تهدف إلى الحرية والاستقلال.... أو طرد ما تبقى من قواعد عسكرية وهيمنة لبقايا الاستعمار! ...عندما تندلع الثورات والحركات التحررية عادة ما يقوم بها ... قادة ورموز وكتاب ومفكرون .... وشعراء وفنانون لهم بصمات واضحة في الأحداث والمتغيرات، لها شكل معين، شعار معين، بوستر معين ... صورة تاريخية أو رمزية تؤرخ وتحدد وتوجه وتطالب بتحديد المسار والمسيرة وأول الطريق وآخره...

إلا في الربيع الاصطناعي العربي الملطخ بالدم وأشلاء المواطن العربي ... له شكل آخر ولون آخر وطعم آخر لا تعرف من (أبوه) ومن (أمه) ... له توجيه آخر ويسير في اتجاه آخر غير المعلن ... ما حدث في وطننا العربي... فجأة بدأت الأحداث والتظاهرات والمسيرات والمطالبات بالحرية ، ثم بالمساواة ، ثم بالمناطق ... والامتدادات بطريقة منظمة وموجهة ومعبأة السيارات المفخخة... وتتردد كلمة (الربيع العربي).... ولنسأل من يعرف من هو الذي أطلق هذا الوصف على ما جرى ويجري في وطننا العربي !... تتغير الأعلام فجأة وتعود أعلام الاستعمار بأعداد هائلة ومطبوعة منذ فترة طويلة، وتظهر الرايات بكل أشكالها والضوء يسلط على وجوه؛ تاريخها مخز تعمل معَ أجهزة المخابراتَ البريطانية ... وجوائز نوبل لمن يقود المسيرات والتظاهرات وينادي ... لا للعروبة ... نعم للحرية ، نعم للسلام .... أما فلسطين فخارج الجغرافية والتاريخ والمكان والزمان ... والممارسات الإجرامية والوحشية واحتلال فلسطين واستعمار شعبها مسألة خارج النقاش والأحداث لأنها تتعارض مع ما يخطط له الغرب الاستعماري.

> فلسطين واستعمار شعبها مسألة خارج النقاش والأحداث لأنها تتعارض مع ما يخطط له الغرب الاستعماري.

ودعونا لا نفكر، بل ننظر إلى ما ترددة الفضائيات التي بدأت تتحكم بالعيون والعقول وتأخذك عبر الصورة المبرمجة إلى عوالم اللامعقول ...هذه القنوات الفضائية ما هي إلا رادارات الفتنة والتخريب ! داعش فجأة ومن دون مقدمات بعد القاعدة وبن لادن والظواهري وطالبان ... من أطلق العناوين وأوصاف والمصطلحات من يدقق من يسأل ... أين المصدر ... ويحضّر لهذه الغاية كبار محللي الأحداث

والمعلومات للحديث الطويل الممل عن تاريخ ومكانة ... أبو عبدالله البغدادي ، ثم أبو بكر البغدادي ...دولة الخلافة .... وقبلهما الزرقاوي وما أدراك ما الزرقاوي الذي ظهر

فجأة ونصبوه زعيما ،ثم قتل واُسدل الستار على الحكاية أو الدراما الأمريكية والبريطانية ...وبحسبة بسيطة لمواطن لديه الحد الادنى من الذكاء والحكمة... نسأل من أطلق هذه التسميات ... ومن يدير الصراع على الجبهات ... ومن يمول، ومن يدرب ...من أين تأتي هذه السيارات الحديثة والمصورة بطريقة إخراج أفلام هوليود ... والصفوف الطويلة من السيارات والإرهابين بلا نهاية؟!

من وراء كل هذا ... ومن هي الأيدي الخفية !... رسائل الصدمة والرعب والتوحش لكل من يفكر بالمواجهة والمقاومة وبث حالة من اليأس لدى الأوساط الشعبية ومنعها من التفكير في المقاومة أو حتى بالاحتجاج.

مفارقات عجيبة ومخزية.... وتضليل واضح... وغياب الوعي الذي كنا نتمتع فيه في مراحل سابقة... وغياب منطق الأخوة والوحدة.. وظهور كتّاب المارينز في عدد من البلدان العربية يباركون إراقة الدم العربي، ويطالبون بحرية التعبير ويتجاهلون العدو... والاحتلال الأمريكي للعراق وغيره وما يحدث في سورية، وكأن ما يحدث يحدث في كوكب آخر!... والخراب والدم والدمار غير المسبوق الذي تشهده المنطقة على كافة المستويات لا يود أحد من (أهل تبع) أن يراه أو يعيه! إنها معضلة، وغسيل أمخاخ و(ضمائر) إن كان موجودة أصلاً!

البعث.. البوصلة القومية

• د.علي دياب

يحتفل البعثيون في قطرنا العربي السوري، وأينما تواجدوا على امتداد ساحة وطنهم العربي الكبير بذكرى تأسيس بعثهم العربي الاشتراكي، فدمشق عاصمة البعث وفيها عقد مؤتمره القومي الأول منذ تسعة وستين عاماً، ومن دمشق انطلقت أهداف البعث لتوحيد الأمة العربية التي كان معظمها لا يزال يرزح تحت نير الاستعمار، وكان أول حزب عربي يتبنى هذا المشروع القومي، الذي نظر إليه الغرب في أنه يشكل خطراً على مصالحهم، ومصالح كيانهم الذي عملوا على زرعه في قلب الوطن العربي، الكيان الصهيوني، وبدأ الغرب مؤامراته ضد الحزب الذي فجّر ثورتين وفي قطرين عربيين مهمين، الأولى في الثامن من شباط، والثانية في الثامن من آذار لعام ثلاثة وستين وتسعمئة وألف، ولسوء حظ الأولى أنها تعرضت لانتكاسة في العام نفسه في العراق الشقيق، وما أطلق عليها بالردة التشرينية بينما مضت الثانية إلى يومنا هذا، في سورية العروبة، تواجه أعتى المؤامرات وأشرس الحروب، التي كان آخرها ما نتعرض إليه منذ أكثر من خمس سنوات، وشكّلت هذه المواجهة لغزاً مهماً صعب على الكثيرين فك رموزه، إذ لم يحضر ببالهم أنّ صمود ثورة البعث وجيشها العقائدي في هذا القطر العربي، سيكون مثالاً يستحق الدرس والتحليل، في مراكز أبحاثهم في الغرب الأوروبي والأميركي التي ما فتئت تضع تقاريرها ودراساتها لمعرفة أسباب هذا الصمود والانتصار، وتستمر في حبك مؤامراتها، بغية إضعاف هذه الدول التي لا تدور في فلكها، والتي تعدها دولاً خارجة عن طاعتها؟؟

لا تزال رؤى البعث تشكل مصدر قلق ورعب للدوائر الغربية، بسبب ما تتضمنه هذه الرؤى من سياسات في مواجهة مصالح هذه الدوائر، التي تتعارض مع مصالح الشعب العربي في أقطاره كافة، وعلى الرغم من نجاحات الغرب الكثيرة التي حققها ضد بعثنا، ولاسيما في الضغط على أنور السادات وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد وإخراج جمهورية مصر العربية ذات الثقل العربي من ساحة الصراع العربي-الصهيوني، وكذلك إشعاله حرب الخليج الأولى، بعد قيام الثورة الإسلامية الإيرانية وقضائها على نظام الشاه، الرجل الأول للولايات المتحدة الأميركية والتمهيد لصراع جديد في المنطقة، ألا وهو الصراع العربي-الفارسي؟ ليكون بديلاً عن الصراع الأساس، العربي-الصهيوني، وكيف استطاعوا وبكل أسف أن يجنّدوا النظام وقتئذ في العراق الشقيق، لينفذ هذا المخطط ومن ورائه أنظمة الخليج البائسة التي كانت و بإيعاز من أسيادها، تغذي هذا الصراع الجديد، الذي كان هدفه خدمة الكيان الصهيوني، والإمعان في تقسيم المقسم، وتفتيت المفتت من أرضنا العربية، وذلك بإثارتهم للنعرات الطائفية والإثنية، والتاريخ يشهد أنه لولا موقف القائد المؤسس حافظ الأسد من حرب الخليج الأولى، لكان وضع أمتنا العربية أسوأ بكثير مما هو عليه اليوم، وأنّ الغرب كان قد استغنى عما سماه "ربيعاً عربياً"، الذي أبان فيه عن سلوكه الحقيقي، وأنه لو كان نجح في تحقيق أهدافه من حرب الخليج الأولى، لما اضطر لهذه المؤامرة الجديدة، التي كانت سورية والبعث الذي يحكمها عصيةً على أشكال المؤامرات التي ما انفكك يتابعها الواحدة تلو الأخرى، لأنّ القطر العربي السوري الذي بقي متمسكاً بثوابته وعدم إضاعة بوصلته الصحيحة، والمتمثلة في مواجهة الكيان الصهيوني الذي يحتل أرضنا، والاستمرار في النظر إلى القضية الفلسطينية على أنها القضية المركزية للأمة العربية. ولم تسعفهم مؤامراتهم هذه التي وظّفوا لأجلها الأنظمة العربية الرجعية ورساميلها النفطية، وبدّدوا ثرواتها لصالح خزائنهم من خلال استمرار معامل أسلحتهم وصناعاتهم، وتحريك عجلة اقتصادهم على حساب الموت والتدمير المنهج لقطرنا العربي السوري وبعض الأقطار العربية، والدفع لأبناء المجتمع العربي الذين كانوا يعملون من أجل وحدة أمتهم التي تستوفي كل مقومات الوحدة، إذا ما قارناها ببقية الأمم التي حققت وحدتها، وهي تفتقر إلى الحدود الدنيا لتحقيقها، فبدؤوا هذه الحروب، وتحت عناوين برّاقة ما أنزل الله بها من سلطان، فتحدثوا عن الديمقراطية وحقوق الإنسان؟؟ وغيرها وكما يقال كلمات حق يراد بها باطل!! وقد عرف العرب هذه الديمقراطية التي دعوا إليها؟؟ وعلى أن تكون العراق النموذج في شرقهم الأوسط الجديد أو الكبير ومن ثم مثال ليبيا لا يزال شاهداً على صدق هؤلاء؟؟ الذين لا يريدون لأمتنا العربية إلا التشظي والاقتتال والتحول إلى كانتونات طائفية وعرقية هنا وهناك، وظنوا أنهم بما قاموا به سيدفع العرب إلى التمسك بأقطارهم المجزأة وفق سايكس بيكو؟ لأنهم وضعوا مخططات أسوأ منها بكثير، وذلك لإنهاء حلم العرب في تحقيق وحدتهم التي نادى بها البعث في أربعينيات القرن المنصرم، وأن تصبح من مخلفات الماضي، وبذلك يبقى الكيان الصهيوني، الكيان العنصري الديني هو الأقوى في المنطقة، وتستقوي به الكيانات الهزيلة التي يعملون على صناعتها، على غرار ما حصل في عصر ملوك الطوائف في الأندلس؟؟ ولكننا نقول لهؤلاء: إنكم مصابون بعمى البصر والبصيرة، فكما وضعتم أسابيع أو أشهر لسقوط نظام البعث في هذا القطر الصامد، وسقط رهانكم سقوطاً، أسفر عن وجوه أذيالكم وعملائكم من الأنظمة العربية الرجعية والإقليمية المتواطئة مع الكيان الصهيوني، ولاسيما السلطان العثماني الجديد، الذي ادّعى دفاعه عن فلسطين، وتبين أنه ضالع في التآمر عليها، وماض في التنسيق مع الكيان الصهيوني في السر والعلن، فإننا نؤكد لكم أنّ البعث العربي الاشتراكي، والشرفاء العرب على امتداد مساحة وطنهم الكبير، سيكونون لكم بالمرصاد ولن يتنازلوا عن حلمهم في ترجمة أهداف البعث الذي انطلق من دمشق من سورية العروبة، وما الانتصارات التي تحقق اليوم في دحر الإرهاب وبالتنسيق مع الأصدقاء إلا دليل على صوابية موقف البعث ورؤاه. وجاء تطهير تدمر والقريتين من دنس الإرهاب على يدي بواسل جيشنا العقائدي، الجيش العربي السوري ليؤكد أننا ماضون في الانتصار الذي لا ريب فيه بفضل وحدة شعبنا والتفافه حول حزبه وقيادته إلى أن تعود سورية إلى ما كانت عليه، وتستمر في دورها القومي إلى أن تحقق انتصارها، انتصار التيار المقاوم والحاق أبشع الهزائم بأنظمة العمالة والخيانة.

الجلاء: ذكريات وشعر

• نصر الدين البحرة

رحت أمس أسائل نفسي: ماذا بقي في القلب والروح والذهن، من ذكريات ذلك اليوم 1946/4/17 الأبيض مشرق الغرّة، واضح القسمات، كهذه الجبال الزاهية، تلونها الشمس كل ساعة، وتلك السهول الخضر، يتماوج النبات والعشب بين أيدي الأنسام والرياح فيها، وهذه الأنهار تسعى جارية، كأنها تركض إلى موعد مع حبيب...

أذكر ذلك الصباح جيداً، في الشارع الكبير، وقد حمل اسم أحد أبطال الجلاء: الرئيس شكري القوتلي. حسبت في البدء أن دمشق كلها زحفت إلى هناك، لم يبق مكان لموطئ قدم. حتى شرفات الأبنية وأسطحتها اكتظت بجماهير الفرح.

حتى الأشجار على أطراف الشارع هناك، يخيل للرائي أن الناس نبتوا بين الأغصان...

لم تكن سنة قد مضت على إنشاء الجيش السوري، ولكن وحداته مع ذلك أخذت تترى من مختلف صنوف الأسلحة، وكأن سنين عديدة مضت عليها، وهي بين أيدي الرجال.

يومذاك عرفت سورية كلها، ربما للمرة الأولى في تاريخها، معنى آخر للدموع سوى الحزن والأسى. كان ذاك عيداً ليس كسائر الأعياد، ويوماً ليس كمثله يوم.

كان ذلك أيضاً، يوماً للشعر والشعراء، وهل كالشعر ما يقدر على النهوض إلى مستوى المناسبة؟

كان بدوي الجبل، الشاعر الملهم المتفرد يومذاك في الأربعين من عمره، وعهده هُوَ هُوَ، مع الديباجة المجلجلة كأنها قادمة من زمن بعيد، جاء من الجاهلية، لكنها تذكرك بعمرو بن كلثوم، بلغته السلسة البسيطة وأصدائه الرقيقة... لا، بطرفة أو عنترة.. وهكذا تقدم ليفرغ ما في نفسه، من فرح وذكريات يختلط فيها الأسود بالرمادي، وما كان أندر الأبيض أو أقله. كانت صورة المعركة، بما فيها من ضحايا ودماء وأشلاء، وبما كُرّمت به من شهداء هي المسيطرة على قصيدته:

وتعرف هذه الحصباء منا
دماً سَكْباً وهامات وراحا
وأشلاء مبعثرة تمنّت
على البيد، الشقائق والأقاحا
تتيه بها الرمال وتصطفيها
من الفردوس ريحاناً وراحا
يرف على خمائل غوطتيها
هوى بطل على الغَمَرات طاحا
وألمح في السراب منى شهيد
تخيل في الوغى الماء القُراحا
فلا حُرِم الشهيد بروض عدْنٍ
على بردى غبوقاً واصطباحا

على أن عمر أبو ريشة... الشاعر الجميل السلس صاحب الأطياف الرومانسية، تخيل مجد الجلاء عروساً في ليل جلوتها، وفي الآن ذاته، فإنها كانت قد قامت قبل تلك الجلوة، بجولة طافت خلالها في الربوع الغالية بما مر عليها من كوارث:

يا عروس المجد تيهي واسحبي
في مغانينا ذيول الشهب
لن تَرَيْ حفنة رمل فوقها
لم تعطر بدمِ حُرٍّ أبي

وانتبه الشاعر في قصيدته التاريخية إلى مسألة طالما رددها المناضلون في سبيل الحرية: ما مات حقٌ، وراءه مطالب:

لا يموت الحق مهما لطمت
عارضيه قبضة المغتصبِ

وكأني به أراد أن يذكّر الأجيال الجديدة، جيلاً بعد جيل، بالمعارك الضارية التي خاضها آباؤهم، وعلى الرغم من أنها مل تكلل بالنصر، فإنهم لم ييئسوا، ولم يتخاذلوا:

كم لنا من ميسلون نفضت
عن جناحيها غبار التعب
كم نَبَتْ أسيافنا في ملعب
وكَبَتْ أجيادنا في ملعب
من نضال عاثرٍ مصطخب
لنضال عاثر مصطخب
شرف الوثبة أن تُرضي العلى
غلب الواثب أم لم يغلب

لقد كان شاعر الشام شفيق جبري من الجيل نفسه، وإننا لنلمح في شعره تلك الأصداء القوية التي تصطخب فيها القوافي، ويشعر قارئها بمتانة السبك وتناهي الفصاحة، وربما كان الشعراء العموديون، لا يزالون حتى اللحظة يعتزون بهذه الخصائص.

كان صدى الجلاء عميقاً في نفس شفيق جبري حتى إنه كتب في السنة ذاتها قصيدة، ونظم أخرى في سنة تالية. وطبيعي أن يسيطر الفرح النابع من تلك اللحظات التاريخية العظيمة، على قصيدة الشاعر، وهو في سورة بهجته بالمناسبة:

حلم على جنبات الشام أم عيد
لا الهم همٌّ ولا التسهيد تسهيد
أتكذب العين والرايات خافقة
أم تكذب الأذن والدنيا أغاريد
كأن كل فؤاد في جلائهمو
نشوان قد لعبت فيه العناقيد
ملء العيون دموع من هناءتها
فالدمع درٌّ على الخدين منضود

غير أنه في قصيدته الثانية التي قالها في الذكرى الرابعة عشرة عام 1960، وقد هدأت عاطفته الجياشة وانفعاله المحتدم، راح يتذكر الأيام الصعبة طوال ربع قرن، تلك التي تكللت تضحياتها الغالية، بذلك اليوم العزيز:

ذكرى الشدائد ما تنفك ماثلة
في أربع الشام نطويها وتطوينا
لو الأضاحي على أعوادها نطقت
دوّت بثورتها الكبرى أضاحينا
على رفات العدى عاشت خمائلنا
ومن نجيع العدا فاضت سواقينا

في ذلك اليوم قال الرئيس شكري القوتلي: "إنه يوم مشهود من أيام العمر".

ذكرى الجلاء في وطن التحدي

• د. فايز عز الدين

سبعة عقود مضت على جلاء المستعمر الفرنسي عن الأرض العربية في سورية ولبنان والأمة العربية لم تصل إلى تحقيق مشاريع استقلالها، ولو برهة من الزمان حيث كانت دول الانتداب الأوروبي ذاتها قد هيّأت الظروف لقيام كيان العنصرية والاستيطان إسرائيل لكي تضيّع على العرب والعروبة استحقاقات الاستقلال الذي حرك العوامل الكثيرة الراكدة في العقل العربي ليتحفز الضمير العربي القومي، ولتبدأ معركة العروبة الواحدة على أرض أي قطر ضد مخلفات استعماره، وليتحول الوطن إلى جبهة تقاتل فيها الأمة المنظمة في كفاحها العدو الواحد، المستهدف وجودها ومصيرها دوماً. وفي ذلك الزمن الذي يقع في النصف الأول من القرن العشرين المنصرم تمكنت الأمة العربية من فرض معركتها على الانتداب والمنتدبين، وعكست وحدة الخندق على صورة الوجدان العربي ملامحَ هؤلاءَ الذين لم يقبلوا الظلم والاستبداد الأجنبي عبر التاريخ، ورفعوا راية الجهاد فوق كل شبر من أرض أجدادهم وآبائهم، وهتفت لهم قلوب الإنسانية من أقاصي الكرة الأرضية من منظور أن قضية الإنسانية واحدة، والوحدة الإنسانية قائمةٌ في كل العصور، فالإنسانية دوماً مجموع متضامن. وكلما وافتنا الذكرى تعود الذاكرة لتستحضر قيم هؤلاء الرجال الذين وقفوا ليمنعوا الجيش الفرنسي الذي نزل على الساحل السوري منذ العام 1919 من أن تستقر به الحال، وكان التفاوض معه بالبندقية، والدم، والأضاحي عند حماة الوطن أمثال الشيخ صالح العلي والثوار في الساحل، ثم استكملت الملحمة السورية عظمتها عام 1920 يوم رفض وزير الدفاع يوسف العظمة أن يكتب التاريخ أن غورو قد دخل دمشق بدون مقاومة، وفي ميسلون قاتلت النواة الأولى للجيش السوري واستشهد وزير الدفاع.

وكانت الهبّة في السويداء مع أدهم خنجر الذي حاول أن يغتال غورو في لبنان وهو بطل من أبطال جبل عامل كبيرة حيث طوّق الثوار بقيادة سلطان الأطرش مدينة السويداء وحاصروا القوة الفرنسية التي قبضت على أدهم خنجر لتسوقه إلى دمشق، ونشبت أولى معارك الجلاء في خريف عام 1922 ليقتل في معركة تل الحديد غرب السويداء، اليوطنان بوكسان، ويتم تدميرثلاث مصفحات للجيش الفرنسي وقتل مَنْ أطلق النار، ثم أسْرُ من استسلم للثوار وبهذه المعركة بدأ نجم سلطان الأطرش بالظهور بين ثوار الجبل، ومعه الأبطال في طليعتهم محمد عز الدين، وحسين مرشد، وعلي عبيد.

نعم بدأت معركة الجلاء، لتتجاوب لها الأصداء في المحافظات السورية كافة من ادلب: ابراهيم هنانو. وحماة: فوزي القاوقجي. ودير الزور: رمضان شلاش. ودمشق: حسن الخراط وعبد الرحمن الشهبندر، والقنيطرة: أحمد مريود، ودرعا، والحسكة، والرقة ، ودرعا، وارتفعت أمواج الوطن لتأخذ المستعمر وترميه خارج بحرها العظيم.

وعلى الرغم من قلة الإمكانات، ومن فقدان مصادر الدعم المطلوب قرر الثوار أن يواصلوا الثورة؛ فالأرض أرضهم والوطن وطنهم ولن يسمحوا للفرنسيين بدوام الانتداب، وشهدت آنذاك ملاحم البطولة ألقاً لا ينبعث ضياؤه إلا من روح هؤلاء الذين هم مسلحون بالإيمان والعزيمة وقيم الشرف والصدق

مع الأرض والتاريخ وخالق الناس. ودارت رحى الجهاد؛ وقودها الدم المتواصل نزفه عند الذين يقاتلون بأجساد الرجال جيشاً لدولة من أقوى دول العالم آنذاك فلا الفارق في السلاح كان ملحوظاً عند الثائرين، ولا الدولة العظمى، ولا السند لها من بقية الدول الغربية الأوروبية. لقد كان نشيد الثوار دوماً: (تربة وطنّا ما نبيعا بالذهب). ومن الطبيعي أن يُخَلّدَ الوطنُ هؤلاء الذين حين يقاتلون بالكف الأعزل، أو بأبسط ما يملكون من قوة، وهم يرون ويعرفون تسليح عدوهم وما كان في عقولهم، أي حساب لمن الغلبة، بل كانوا يذودون عن الوطن وإصرارهم يشير إلى أن هذا الذود باق جيلاً وراء جيل، لأنهم جدارُ المستحيل، فلا يمكن أن يسقط أو يتراجع، وفي نهاية كل كفاح النصر دوماً للوطن وأهله، هكذا علمهم تاريخ أجدادهم، وهكذا مارسوا ما تعلموه. وفي مثل هذه العزائم هزموا الاستعمار الفرنسي، وانتزعوا الجلاء وفتح الوطن صفحات تاريخه ليحتضن أمجاد أهل العزم، ولم يكفهم أنهم كانوا مجاهدين من أجل تحرير سورية ولبنان، بل ذهبوا إلى القدس عام 1936 بزعامة عز الدين القسام، حتى يقاتلوا شراذم الصهيونية التي كانت تحضر الشروط الأولى لاحتلال أرض فلسطين وإقامة كيان الصهيونية الإحلالي العنصري عليها.

ومنذ أن تم احتلال فلسطين عام 1948، فُرضت على العروبة معركةٌ من نوع أخطر، معركةٌ مع مشروع استيطاني عنصري إقصائي يستهدف الأرضَ والإنسان والعروبة. وفي هذا السبيل لم يرتفع العرب إلى المستوى المكافئ لخطورة مشروع العدو الصهيوني والداعم الإمبريالي له، وظلوا بين منطقين: منطق يدعو إلى حمل قيم الجلاء وحروب الاستقلال. ومنطق يجد أملاً بالحلول عند الذين هم المسؤولون عن اغتصاب فلسطين، ثم حين قامت الحرب العظيمة حرب تشرين التحريرية 1973 بقيادة القائد المؤسس حافظ الأسد، وَجَدَ بعضُ العرب طريقهم لاستثمار نتائج هذه الحرب الظافرة بدخول عملية تفاوض عبر إعلان نيّة التخلي عن الكفاح المسلح، وليس التفاوض الموازي للكفاح والمقاومة كما كان عليه ميراث شعبنا؛ وعدنا في التفاوض لننقسم إلى: مفاوض لا يجد أيَّ حل سوى بالمزيد من التفاوض، ولو كان هذا الخيار في مصلحة العدو، ومفاوض لن يترك المقاومة والتفاوض بآن معاً حتى إذا فشل التفاوض تبقى القضية حيّة بالمقاومة، وإكراه العدو على إعطاء الحقوق التاريخية، وكانت سورية رائدة هذا النهج العربي المقاوم.

ومن أروع نماذج التاريخ الحديث للكفاح الوطني التحرري من الاستعمار، حين يتوافق السوريون على سلطان الأطرش قائداً للثورة السورية الكبرى ليؤكدوا للفرنسيين بأن تحرير الوطن هو القيمة العليا، والضمير السوري لا يحلّق فوق فضاءات المذهبية والطائفية؛ فالوطن الواحد وتحريره يوحّد الأطياف الوطنية: السياسية والاجتماعية والدينية ضد الغزاة وهكذا كان دوماً ما يحصل عند السوريين، لذلك لم يستطع أي استعمار أن يتحدى النسيج الوطني لهم أو يدخلهم في حروب طائفية وأهلية المستفيد منها فقط هو وأعوانه. وفي الزمن الأصعب الذي تعيشه سورية منذ خمس سنوات حيث تحالف عليها الأمروأور وصهاينة ومَنْ معهم من الأعراب والمتأسلمين، تُعززُ جماهير الوطن السوري قيم الجلاء ضد الفرنسيين بقيم التجديد للعقد الوطني السوري وليثاق الشرف الذي جعل السوريين جبهة واحدة منذ هولاكو، وتيمورلنك، والسلطان سليم العثماني، وغورو، وبن غوريون حتى اليوم. والضمير الوطني دائماً يمنح المكافحين في هذا البلد وسام العقل الذي لا يساوم على الأرض، والعرض، والكرامة، ولا يبيع الوطن بذهب الأرض، والوقفة السورية الصامدة بوجه قوى التدمير، والخراب، والتقسيم لهذا البلد العظيم تجدد روح الجلاء، بالوجدان السوري الذي دخل التاريخ بالعقل واستمر فيه بالإرادة القوية، وفرض وجودهُ بالحكمة.

وها هو الموقف السوري بثلاثيته: الدولة، والشعب، والجيش يحقق الانتصار تلو الآخر في المعركة الوطنية ضد الإرهاب الدولي الوهابي التكفيري، ومن أرض الميدان والنصر خاض بلدنا معركته الدبلوماسية في جنيف المتعدد الأرقام، وما زال يخوضها مع القوى التي تمثل الجدية المطلوبة في الحرب على الإرهاب ، ومع حلفائه في جبهة المقاومة، ويتقرر اليوم – ونحن نحتفل بذكرى الجلاء- المصير الجيوتاريخي للعرب كأمة، ولموقعها من النظام الدولي الراهن الذي ساهمت سورية وما زالت في نقله من نظام القطب الوحيد المهيمن إلى النظام المتعدد القطبية. وستبقى روح الجلاء، تأخذ السوريين اليوم إلى مناهج الوطنية التي لا تتنفّس إلا من رئة الأرض التي عاشوا عليها، ومن تاريخها، ولا ترى حاضراً محصناً برؤى المستقبل إلا من وحدة الشعب الوطنية، ولا تسمح بأية مخططات للفيدرالية، وتفكيك الجغرافيا: الطبيعية، والديمغرافية، فالعقد السوري العريق في أحقاب التاريخ هو منارة الأجيال القادمة إلى فضاء الوطن المعمّد بدم الشهداء، وبمبادئ العظماء الأوفياء الذين انطلقوا من شعار: الدين لله والوطن للجميع، ولم يرتضوا أن يغير لهم أعداؤهم شعارهم الأصيل بالوهابية التكفيرية الإرهابية التي لا تحترم ديناً أنزله الله، ولا وطناً تشكلت عليه الهوية والثقافة الصامدة المقاومة منذ قرون.

الفكر النقدي

• د. عاطف بطرس

في لحظات التوتر والمنعطفات الحادة يعاد طرح الأسئلة لتقديم أجوبة عليها، تتوازى مع حجمها من جهة، وتأخذ بالحسبان السياقات المتغيرة المحيطة بتلك الأسئلة والمؤسسة لها، والمبنية عليها. خاصة إذا كانت تلك الأسئلة متعلقة بمصير الأوطان ومصالح المواطنين ومستقبلهم.

الأزمة التي نعيشها اليوم في وطننا سورية، تمثل نقطة تبئيرلمواجهات إقليمية ودولية وحلبة صراع لقوى قديمة جديدة، يزيد في تعقيدها وتداخلها العلاقة المتبادلة بين الداخل والخارج، مما يحمّل الوطن بكل مكوناته مسؤولية كبيرة تتجاوز مساحته الجغرافية. يحتاج هذا الوضع إلى وقفة متأملة متأنية أمام الأزمة وتفكيك أسبابها: السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي.

عملية التفكيك، تتطلب: أولاً إجراءات عملية فعالة تلبي احتياجات المواطنين، وتستجيب لتطلعاتهم في الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والمشاركة في المسؤولية عن خيارات الوطن ومصيره. وثانياً: فكراً نقدياً يحلل ويركب، يستقرئ ويستنتج، لا يكتفي بإطلاق الوعود، وإنما يطلق مراجعة شاملة للذات ومكوناتها، الذات الفردية والجمعية، بوصفها أحد مسببات الأزمة، فلتكن هذه الذات موضوعاً للدراسة على مشرحة النقد لاستخلاص النتائج.

إذا عاد كل طرف من أطراف الأزمة إلى ذاته، ونظر في مكوناتها نظرة نقدية واعتقد أن آراءه ومواقفه يمكن أن تكون فيها نسبة ما من الخطأ، وأن آراء من يخالفه فيها نسبة من الصواب، استطاع أصحاب الآراء المتعارضة أن يصلوا إلى نقطة تقاطع يمكن أن يؤسسوا عليها ما هو أبعد عن طريق الحوار والاعتراف بحق الاختلاف والانتهاء من الثنائيات الضدية المغلقة.

التمييز بين الذات ومكوناتها والأفكار والآراء الصادرة عنها، أمر هام وملح في فترات احتدام اختلاف الآراء، فمواجهة رأي ما والاختلاف معه، ليس بالضرورة اختلاف مع الذات التي يصدر عنها. آرائي ومواقفي تنبع من ذاتي ومن مكوناتها، هذا صحيح، والأصح أن تبدل الرأي وسرعة الانتقال من رأي إلى آخر، لا يمس جوهر الذات، ومكوناتها، وبالتالي فإن مجابهة رأي ما لا تعني انتقاصاً من الذات التي صدر عنها، وإنما من الرأي المحدد نفسه.

لو أن كلاً منا (ذاتاً فردية أو مجتمعية، فكرية أو حزبية) نظرت إلى نفسها في مرآة النقد بحيادية وتجرد، أي جعلت من نفسها موضوعاً للتأمل والتفكير لانكشفت بعض نواقصها، فبدون معرفة النواقص والاعتراف بها، لا يمكن الوصول إلى تجاوزها والانتقال إلى الأفضل.

انفتاح الذات على الآخر من أهم مقومات بقائها، والتشرنق والانغلاق مقتل لها، والحوار المتبادل هو أجدى الوسائل لإغناء الذات وتطورها، فهو الذي يكسبها خبرات ومهارات في الدفاع عن نفسها، وفي مواكبتها لعصرها، وهو الذي يكشف ما استتر من نواقصها، فالانفتاح وتقبل التنوع يقوّي ولا يُضعف، يغني ولا يفقر، يؤسس لخطوات عميقة على طريق التكامل.

اختلاف .. رغم التّشابه ..

• سهيل الشعار

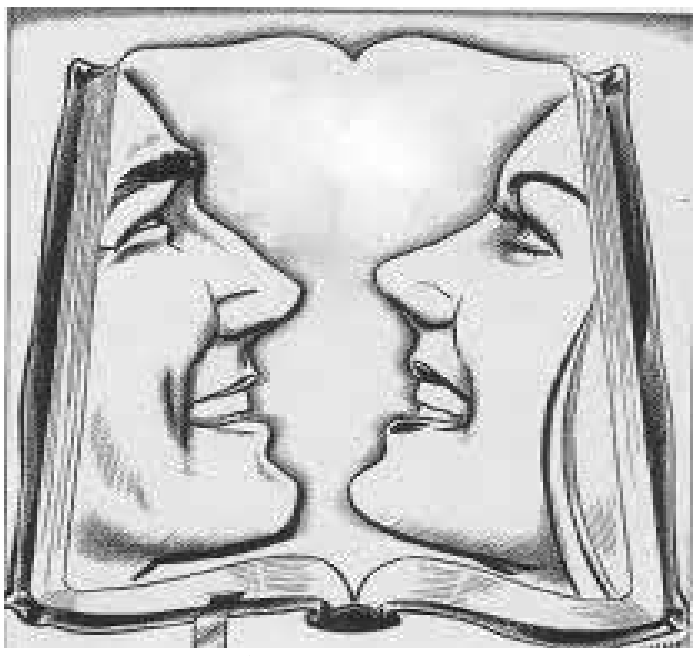

لا يصبح الإنسان شجرة إذا جلس تحت الأشجار ، و لا تتغيّر طباعه وإن عاشر الحكماء، و لا تصبح أخلاقه نظيفة و لو أقام منزله قرب الأنهار العذبة و البحيرات الصّافية .

و لا يزداد طوله أذا مشى مع أصحاب القامات الطويلة ، ولا يكبر حجمه و لو رافق الفيلة والجمال .

و لا تنقلب كلماته من ذهب إذا كتب بقلم من ذهب ، و لا يرتفع صوته ولو جلس فوق أعلى القمم .

إن العبرة و الحكمة و العظمة في الأصل والأساس ، فإذا كانت حبّة القمح منخورة أتنبت و تُخرج لنا سنبلة و لو زرعناها في أخصب الأراضي، وقرب أجمل القصور وأعذب الأنهار؟؟

«إن صغار الناس لا يجنون شيئا من التردّد على مجتمع العظماء من الناس» .

ليس كل مَن يسبح في البحار بقادر على الغوص إلى أعماقها ، فبعض الناس يشبهون البطّ ، تراهم دائما في حالة عوم ..

و لا كل من حمل السلاح صار صِياداً ، و لا كل مَن جلس فوق الكراسي الكبيرة صار كبيراً ، و لا كل مَن تحدّث، كان حديثه مشابها لنواياه .

فقد تتشابه الوجوه والأصابع ونظرات العيون و طعم الدموع ، لكن البصمات تختلف من أصبع لآخر، و من يد لأخرى ، و خلف الوجوه ، و وراء العيون و الدموع ، هنالك أشياء و أشياء، لا يمكن الحكم عليها أبداً .

وأليس من النّعم الكبيرة على بني آدم أنّ نواياه لا رائحة لها ؟ و مشاريعه وخططه و أهدافه من النادر أن تظهر فوق ملامح وجهه وفي لون عينيه !؟

صمت الكبار .. و زعيق الصّغار ..

الصّمت صفة عظيمة من صفات العارفين، و لو حدث و تحدّث أحد هؤلاء العارفين لأوجز ساعة من الكلام في دقائق معدودة، كالجامع محصول سنة في يوم .

يُقال: إن كثرة الحديث عن الأجنحة لا يرفع جسد المتحدّث عنها، مثلما لا يشبع المعدة كثرة الكلام عن الطعام .

و على عكس بني آدم ،تزهر الأشجار و تثمر متحمّلة الصقيع و فؤوس وبلطات بعض اللصوص ، و تشقّ الورود الجميلة الأرض مندفعة نحو ضوء الشمس ، رافعةً رؤوسها نحو الفضاء، و تحمل الغيوم المطر و الثلوج، و شرق الشمس في كل صباح باعثة النور و الدفء إلى العالم .

لاحظوا معي يا إخوان:

كل ذلك يحدث دون أن نسمع من الأشجار والورود و الشمس والغيوم أي صوت أو ضجيج !!

فما أجمل و أروع أن نتعلّم الصمت أثناء العمل ، مثلما نتعلّم الكلام !.

و يبقى المعنى في قلب الشاعر ....

حال الثقافة العربية..!

● د.حسن حميد

نادراً،

ما أرى المؤسسات الثقافية العربية، وإن كانت صيغها صيغ وزارات، تخطط من أجل مشاريع طويلة الآماد، لأن ثقافة (الآن)، و(الارتجال)، و(المواسم) غبّت كل ما هو استراتيجي وحيوي ودائم، وبذلك تسيّدت المشاريع السريعة والمستعجلة دوائر العمل، وجهات القرار، والنظرات الثقافية.

أقول هذا لأن الحديث عن ثقافة عربية واحدة بات صعباً، وإن لم يكن صعباً، فهو حديث لا يرضي الطموح أو يتجاوب مع أوليات المبادئ التي توافقنا على أنها هي التي تشكل الحال العربية الثقافية وغير الثقافية، من تاريخ، وجغرافية، ومصير مشترك، ولغة، وهي التي تبلور الشخصية العربية واقعاً وأحلاماً، كما أن الحديث عن أدب عربي واحد بات هو الآخر حديثاً معطوباً ومثقوباً في أمكنة وجهات عدة، وأن الأحياز السياسية التي تبلورت في البلاد العربية، ما بين بلدان تقدمية وأخرى غير تقدمية، ونفطية وغير نفطية، ومشرقية ومغاربية، هي بدورها شكلت أحيازاً ثقافية مستقلة كل الاستقلال عن بعضها بعضاً، فما عاد المثقف المغاربي ينتظر كتاب المثقف الشرقي، والعكس صحيح، لأن سطوة الحدود، وأبوابها المغلقة بوجه الثقافة كبيرة، وكبيرة جداً، لا بل هي مخيفة! حتى الموضوعات التي يكتب فيها الكاتب العربي وعنها باتت ذات أهواء ومنازع وتوجهات، لذلك باتت الفروق ما بين كتابة سودانية وكتابة كويتية شاسعة جداً، مثلما باتت الكتابة في بلاد الشام مختلفة جداً عما هي عليه في بلدان الجزيرة العربية.

ومع أن الحال الثقافية العربية تقرّ بالشرذمة مثلما قرّت بها الحال السياسية العربية إلا أن الجهود المبذولة، والأفكار المطروحة، في هيئات رسمية عربية مثل (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) مازالت تتحدث عن ثقافة عربية واحدة، واستراتيجية عربية واحدة أيضاً، وعن أحلام ثقافية عربية واحدة، لكن كل ما يُطرح من أفكار وآراء يظل حبيس الأدراج، والملفات، والكتب إن طبعت. وللتمثيل أقول إن ما يدّرس في المناهج الدراسية العربية، وفي المدارس الأولى ، أي مدارس التعليم الأساسي، التي تشكل المهاد الثقافي الأول لكل ناشئ عربي، هو مختلف، ومفارق، ومتباعد عن بعضه بعضاً عما يدّرس عن العقيدة العربية في المشرق العربي عامة مختلف جوهرياً عما يدّرس في المغرب العربي، بل إن ما يعطى للطلبة من دروس في العقيدة الدينية هو مختلف جداً ما بين بلد عربي وآخر، والمجانسة قليلة جداً، ناهيك عن الاختلاف والتفارق حول ما يعطى في مجال التاريخ والجغرافية فبعض البلدان العربية تنحي تدريس البلدان الاشتراكية تاريخاً وجغرافية وعقيدة، وبعضها الآخر ينحي تدريس البلدان التي عُرفت بتاريخها الاستعماري تاريخاً وجغرافية وعقيدة، والأمر متشابه أيضاً في الشرذمة وعدم التوافق حين تدرس بعض الفلسفات ومدارس الفكر من دون غيرها، مثلما هي متشابهة في الشرذمة والتفارق حين تدرس بعض الفنون أيضاً!

كل هذه الاختلافات، والتشعبات، والشرذمة، وكل هذا التباعد وإدارة الظهر.. يسهم في تكوين مواطن عربي في بلد عربي ما، يختلف تماماً في ثقافته ونظراته وتوجهاته عن تكوين مواطن عربي آخر في بلد عربي آخر أيضاً. لهذا يصعب الحديث حقّاً عن ثقافة عربية واحدة اليوم، لأن التنافر السياسي دكّ مداميك الثقافة العربية وخرّبها بالمدافع الثقيلة، حتى بات التلاقي الثقافي ما بين البلدان العربية حلماً من الأحلام، يوازي في أهميته الحلم بالوحدة العربية ولو عبر نشرات الأخبار، أو حتى عبر نشرات الأحوال الجوية.

وقد أدّت القطيعة السياسية ما بين البلدان العربية، بسبب اختلاف وجهات النظر، وتحديد الأوليات، وتوصيف الصديق والعدو، وحالات الاصطفاف مع أو ضد.. إلى قطيعة معرفية، وليس إلى قطيعة ثقافية فقط، فالجهل صار عاماً بالعادات والتقاليد والتصورات والأعراف في الكثير من البلدان العربية، ولم يعد جهلاً مقتصراً على الثقافة والكتب والفنون. وبذلك غدت الحال الثقافية العربية ثقافة أحياز، فمثقفو بلاد الجزيرة العربية يذهبون إلى المملكة المغربية لملاقاة مثقفيها، ولا يذهبون إلى الجزائر، مع أن المغرب والجزائر بلدان من دول المغرب العربي، ولكن من حدّد ووصّف هذا التلاقي، وتلك القطيعة، ليس المثقف، ولا الثقافة، وإنما هو السياسي، والسياسة في آن.

وكل هذا أحدث بلبلة في المشهد الثقافي العربي الذي غدا بحق مشاهد، بعضها يعيش مع بعضها الآخر في حالة مرضية من القطيعة المعرفية الصارمة، إذ من بمقدوره أن يعدد بضعة أسماء عن أهم المثقفين في بلدان عربية مثل: موريتانيا، أو المغرب، أو السودان، أو عُمان، أو ليبيا، أو العراق، أو الإمارات، أو السعودية، أو الكويت خلال العقود الثلاثة المنصرمة من تاريخ الحياة الثقافية العربية، والسبب هو أن الأدباء والكتّاب الذين عُرفوا في عقد السبعينيات، يوم كان التلاقي العربي في أبهى صوره الجمالية واليعربية، عبر المهرجانات، والملتقيات، والأسابيع الثقافية، ما زالوا هم المعروفين في البلاد العربية، أما ما أضافته السنوات الثلاثون إليهم فهو غير معروف، وغير مدرك، أسمع بعض المثقفين يتحدثون عن أجيال أدبية عربية طالعة، وهذا أمر لاشك فيه، لكن من قرأ لهم، ومن حاز كتبهم، والكتب لا تعبر الحدود إلا تهريباً. من يقول لنا من هم الكتّاب الجدد الذين عرفوا في الكويت بعد إسماعيل فهد إسماعيل وليلى العثمان وخليفة الوقيان، وسليمان الشطي، وطالب الرفاعي. ومن هم الكتّاب والأدباء الذين عرفوا في السودان بعد الطيب صالح، ومحمد الفيتوري، ومحيي الدين فارس، وبثينة مكي، ورضوى الحاج، والحال مشابهة تماماً في الكثير من البلدان العربية، لهذا نسأل أين هي الأجيال الطالعة أدبياً وإبداعياً منذ ثلاثين سنة وربما أزيد، من نسمي من أسماء في المغرب، أو عُمان، أو الصومال، أو جزر القمر أو اليمن، أو البحرين...أعرف أن هناك أسماء وقامات وتجارب.. ولكن من يعرفها في البلدان العربية المجاورة لها؟!

أخلص إلى القول، إن الحال الثقافية العربية التي يعوّل عليها من أجل توحيد المشهد الثقافي قبل وحدة المشهدين الاقتصادي والسياسي، ليست بخير على الرغم من انتشار معارض الكتب، وتبادل الصحف، وبعض الملتقيات الأدبية، والعلاقات الشخصية ما بين الأدباء والكتّاب، والفورة في وسائل الاتصال هذه الأيام، ولهذا -ولأنها ليست بخير- لابدّ من العمل (التكتيكي والاستراتيجي) في الحياة الثقافية العربية لكي تتواصل الأجيال، والإبداعات، والتجارب، من أجل الحديث عن حياة ثقافية عربية واحدة تعبر بحقّ عن واقع المثقفين العرب وأحلامهم!

Hasanhamid55@yahoo.com

الأبعاد الثقافية للحرب على سورية

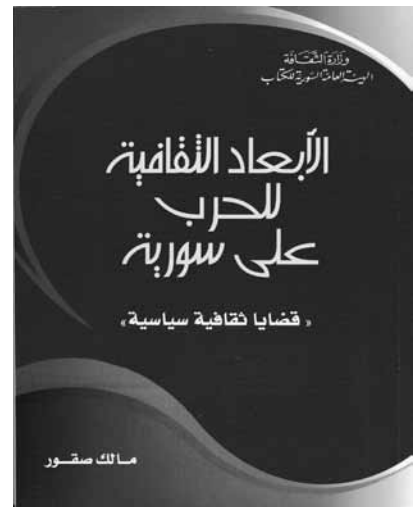

دراسة جديدة في مجال (الثقافة السياسية) صدرت حديثاً ضمن منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، للأديب والناقد مالك صقور تحت عنوان (الأبعاد الثقافية للحرب على سورية). وقد واقفت هذه الدراسة معاني الثقافة وأدوارها لإصلاح ما أفسدته السياسة، والأنفاس الحامضية في ثقافة الامبريالية وشرورها، وتأثيرات العولمة التي اجتاحت الثقافة استقطاباً لوجوهها المقنَّعة بالرياء والكذب واللاوطنية، كما واقفت الدراسة القيم الإنسانية النبيلة بياناً لدورها وأدوارها في حياة الناس في ظل الحرب الهمجية المشنونة على سورية.

الدراسة عميقة ومهمّة لأنها تُفرغ حمولتها الثقافية كلها وهي تقرأ الروايات، والدواوين، والدراسات، والتواريخ الثقافية، وتجارب الأعلام الكبار، وأحوال الحرب وما تأتي به من قيم اجتماعية مثل التضامن، والتحاشد، والوطنية، والدفاع عن التاريخ والجغرافية والهوية والسيادة.

دراسة جديرة بالقراءة ولاسيما أنها صادرة عن ذات أدبية كوتها المرئيات الرمادية والسود معاً.

ظاهرة التثاقف وآثارها المدمرة على السرد

• وليد أبوبكر

يكشف الناقد الفلسطيني الكبير في رصده لسلبيات رواية ربعي المدهون عن كيف يتحالف التثاقف وادعاء المعرفة والقصدية المسبقة التي ترغم السرد على تشويه الوعي وتزييف التاريخ، على إنتاج سرد ركيك يتسم بالافتعال ولا يستطي ع أقناع القارئ أو خلق عالم سردي قادر على إمتاعه أو إثراء معرفته بموضوع النص.

في معنى التثاقف

تحمل مفردة "التثاقف" معاني عدة في القاموس، كثير منها إيجابي، يحيل إلى معنى التبادل الثقافي، وهو ما يكون مجديا في لقاء الثقافات المختلفة، وفي أخذ بعضها من بعض، بما يفيد الأطراف جميعا. وهذا التوجه اجتماعيّ في مجمله، وحضاريّ، لأنه يصدر عن حراك طبيعي عام، عرفته كلّ اللغات، وساهم في تطوير كثير منها، كما ساهم في بقاء بعضها حيا على مدى أزمان طويلة، بينما باد بعضها الآخر، الذي فشل في مثل هذا التكيف.

أما حين يتعلق الأمر بالسلوك الفرديّ، فسوف ينتقل إلى توجه سلبي، يحيل إلى المعنى القاموسيّ لعبارة "تثاقف الشخصُ" بمعنى أنه "ادعى الثقافة، وأخذ يتعالى على الناس بما يستعرضه" منها، سواء أكان ما يملكه من الثقافة حقيقيا أو من باب التظاهر بأنه يملكه.

بهذا المعنى السلبيّ، حين يلتحق "التثاقف" بالسرد، فإنه يتحوّل إلى مصطلح نقديّ، يحمل معنى التعالُم، أو استعراض الثقافة في سياق غير ضروري، أو هو استعراض المعرفة عموما، من باب الإشعار بأن الكاتب يمتلكها؛ لا لكونها تشكل جزءا لا يستغنى عنه في ما يكتبه، وإنما بهدف إشعار القارئ - بوعي منه أو دون وعي - بأنه "يعرف" أكثر.

في هذا الإطار، يعمد الكاتب إلى إقحام ما يعرفه، وربما ما لا يعرفه، في مواضع لا تتسع لها، أو لا تكون لازمة فيها، وبذلك يكون معنيا بوجودها لذاته، لا لموضعها الضروريّ في السرد، وهي غالبا ما تخرج عن السياق، لأن غرضها الذاتي البحت، لا يخرج عن محاولة ترويج الكاتب لثقافته، حقيقية كانت أو مدّعاة، وبالتالي إقناع المتلقي بأنه يملك من الأهمية ما يستحق معه أن يحظى بالاهتمام.

مثل هذا الغرض يوحي على الفور بسمتين يصعب الفصل بينهما: الأولى هي النرجسية التي تقود صاحب النص، وتجعله "يميّز" نفسه بعبارات صريحة، يلحّ عليها كثيرا، إلى الدرجة التي قد تتسبب في نفور القارئ. وتتخذ هذه النرجسية مظاهر عديدة، بعضها صريح، وبعضها الآخر خفي، أو موحٍ، لكن أهدافه لا تستطيع أن تتخفى.

أما السمة الثانية، فهي القصدية التي تسبق كتابة النص، فتؤدي به إلى الافتعال، وما ينتج عن ذلك من انتقائية. القصدية تعني أن النصّ يخضع للتوجيه المسبق، أو لطرح فكرة مسبقة، أكثر مما يصدر عن الموهبة، ما يجعله نوعا من النصّ "المصنوع" من أجل أن يطرح أفكارا جاهزة، تفصّل الكتابة على مقاسها، وذلك يتعارض مع صدق الكتابة وتلقائيتها منذ البداية، خصوصا حين تكون هذه الأفكار غير ناضجة، ولا تحظى بالقدرة على الإقناع، وكثيرا ما تخرج على الإجماع الوطني في قضية أساسية، ولا يكون هدفها تطويرا في الثقافة أو المجتمع من أي نوع، كما يفترض الأدب الصادق، وإنما تكون لها أهداف أخرى، غالبا ما تكون ذاتية أيضا، مثل السعي إلى نيل القبول، من بعض الأطراف النقيضة، بنيّة الكسب المحتمل، بطريقة ما، من خلالها، عبر التقدم للجوائز المشكوك في صدقية تحكيمها (مثل الجائزة العالمية للرواية العربية - المعروفة باسم بوكر العربية) التي أخذت تعطي بعض الكتاب زخما نرجسيا حين يرشحون لها)، أو الإغراء بالترجمة، التي لا يحتمل أن تتحقق، خصوصا في فن الرواية، التي لا تستطيع أن تكون خادعة مثل الشعر الذي يفقد خواصه عند الترجمة، لأن الرواية سرد يستند إلى مجموعة متناسقة من الأحداث، يتمسك الغرب بأصوله، ويرفض الافتعال، مهما حمّل من أفكار تحاول أن تجعله قريبا مما يميلون إليه، حول هذه المنطقة، وخصوصا حول الصراع العميق والممتدّ فيها، بين الاحتلال ومقاومته، ما لا يسمح للعالم بأن يحظى ببعض الهدوء الذي ينشده، منذ عشرات السنين.

كونشرتو الهولوكوست:

في رواية ربعي المدهون "مصائر - كونشرتو الهولوكوست والنكبة" (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: 2015) يبدأ التثاقف من العنوان ذاته، ثم يمتدّ إلى بقية النص، ولا ينتهي إلا عند السيرة المختصرة للكاتب، قبل الغلاف الأخير، حين يظنّ أنه يخلق لنفسه هيبة من نوع ما، وهو يسجل أنه "يحمل الجنسية البريطانية"!

> تحمل مفردة "التثاقف" معاني عدة في القاموس، كثير منها إيجابي، يحيل إلى معنى التبادل الثقافي.

إن في إضافة عنوان فرعي يحمل صفة "كونشرتو" محاولة ساذجة للإيحاء بأن الكاتب ضليع بالموسيقا، وكأن ذلك يميزه كاتبا. وعند قراءة الرواية، فإن القارئ لا يشعر بأية علاقة بين "الشكل" الذي يتخذه النص، والنوع الموسيقيّ الذي حمّل في العنوان. لكن الكاتب لا يكتفي بأن يختلق لعنوانه جوّا غريبا عنه، وإنما يعيد بعد ذلك تنويع تثاقفه من خلال "توجيه" القارئ إلى طريقة محدّدة في التعامل مع الرواية، وذلك عن طريق مقدمة لا لزوم لها، تتكرّم على القارئ بأن تعلّمه كيف يقرأ، وكأن صاحبها يقول إن الرواية فوق مستوى الآخرين، وإن من واجبه أن يقرّبها من فهمهم بأن "يشرح" لهم طريقة التواصل معها، حتى يوهم من له علاقة بأنه يقدّم نصا استثنائيا، قراءته ليست في متناول اليد، وفي ذلك حيلة غير ذكية على الإطلاق.

والنص ليس استثنائيا بالطبع، فهو مجرّد رحلة سياحية معادة، لا تختلف في أسلوبها ولا في مضمونها عن الرحلة السابقة للكاتب ذاته، في روايته السابقة اليتيمة، "السيدة من تل أبيب"، التي افتتحت مشروعه الروائي (بعد سنّ السبعين، كما تشير السيرة)، إلا بتوسيع أماكن الزيارة، فبدلا من غزّة، تسير الرحلة السياحية هذه المرة إلى عدد من مدن فلسطين (عكا، يافا، القدس، حيفا، اللد، الرملة)، لتكرر التأكيد على "أهدافها" التي كانت في العمل السابق مشبوهة، وسوف تزداد سوءا في هذا العمل.

ولعل من اللحظات الصادقة القليلة، غير المتكلفة، في العمل، أن الكاتب يعترف منذ البداية بأن "الصنعة" هي التي قادت عمله؛ فهو في مقدمته الزائدة عن الحاجة تماما، يعترف بأن العمل على النصّ كان صعبا لأن الأحداث "تجري في ستّ مدن فلسطينية لم أقمْ في أيّ منها" (ص 8)، ما يتناقض مع "المكان الحميم" الذي يستطيع الكاتب أن يستثمر شعريته حين يكتب، بسبب معرفته الدقيقة به، وارتباطه الوجداني، لا السياحيّ، وهو ما لا يستطيع جهد الآخرين الذين تتمّ الاستعانة بهم أن يجعله ممكنا.

ويعلن الكاتب صراحة قبل ذلك عن أنه أقدم على "توليف" النصّ في "قالب" الكونشرتو الموسيقي (ص 7)، أما عند الكتابة، فهناك وضوح في ما يرد على لسان وليد دهمان، الشخصية الرئيسية في روايتي المدهون الوحيدتين، حين يتساءل، في دعاية صريحة - تثاقفية نرجسية غريبة وصادمة - للكاتب داخل نصه: "هل أساله (أي الكاتب المدهون) عن مصيري في روايته "السيدة من تل أبيب" التي جعلني بطلا لها، وكتّبني رواية أخرى خلقت أنا أبطالها وصنعت أحداثها؟" (ص 167). إن كل ما في معاني "توليف" وقالب"، و"صنعت" يوحي تماما بمعنى القصدية المسبقة التي تناقض التلقائية في كتابة السرد، وهي تقود إلى تجلّي "التثاقف" بكلّ أشكاله بعد ذلك دون حدود.

في هذا التثاقف، أو التعالُم، استعلاء يبرز كلّ الوقت من خلال استعراض معارف أو "معلومات" يظنّ الكاتب أنه وحده يعرفها، وأن طرحها يوحي بالمصداقية، بينما هي في الواقع تفيض نرجسية عالية، تعلن عن نفسها باستمرار عبر الرواية، خصوصا وأن معظم هذه المعلومات معروف، أو موجود في كتب التاريخ، كما في أحداث كفر قاسم؛ أو الاحتلال الأول، أو الثاني لفلسطين، أو جائزة الدولة الإسرائيلية لإميل حبيبي؛ أو موجود في الجغرافيا، كما في أبعاد قبة الصخرة، وفي "التلة الفرنسية" التي تمّ التوصل إلى ارتفاعها - كما تشير الرواية - عن طريق البحث في غوغل (ص 96)، المتاح لكل قارئ؛ أو في كتب "فن الإتيكيت"، كما يحدث وهو يعلّم القارئ كيف يأكل بالشوكة والسكين! (ص105)؛ أو في كتب "فن الطبخ" في بعض الأحيان، كما في الحديث عن صناعة الكنافة النابلسية، أو عن المقلوبة، التي يعتبرها (كشخص كلّيّ المعرفة) غزّاوية بشكل حصريّ، وكأن بقية محافظات الوطن لا تعرفها! وغير ذلك كثير جدا لدرجة أنه لا يتوقف عن محاولته الحثيثة في تعليم القارئ اللغة العبرية، التي تبدو أثيرة لديه، من خلال الاستمتاع بترديدها (ص 108).

هذا "التثاقف" لا يعلن عن نفسه عند التعبيرات السائحة فقط، ولكنه ينسحب على كل شيء في الرواية، بتصميم شامل، ويبرز في تفاصيل فقراتها، بإصرار شديد، ما يجعل من الممكن أن يصنف على شكل "فئات" تثاقفية، لكلّ منها حضورها الأساسيّ، وتفرّعاتها العامة، وانعكاساتها على الفكر الذي تروّج له الرواية، بافتعال تثاقفي أيضا، وهو الفكر الذي يدور حول "التعايش" الذي لا مفرّ منه، مع المحتلّ، واعتباره ممكنا، بالشكل الذي اقترحته طفولة يسارية فلسطينية قبل عدة عقود، قبل أن تحتكّ منظمة التحرير الفلسطينية، والواقع الفلسطيني، خصوصا بعد أوسلو، بهذا الاحتلال بشكل مباشر، وتتعرّف على طبيعته الاستيطانية، التي تصرّ على امتلاك الأرض دون سكانها؛ وقبل أن يدرك الفلسطيني جيدا أن التعايش المطروح، من وجهة نظر الاحتلال، حتى في أوساط من يظن بهم التفاؤل داخله، لا يعني أي شيء يختلف عن التمييز العنصري، الذي يتمّ تطبيقه عن طريق استعباد شعب آخر.

"التوجه التعايشي"، أو التطبيعي الصريح، سبق للكاتب أن طرحه في روايته السابقة، وهو لم يأت في روايته الحالية بجديد، إلا محاولة أن يقول ما هو مباشر في وصف ممارسات الاحتلال، دون أن يقول السياق العام لروايته ما يوازي ذلك. ويبدو أن الكاتب لم "يتعلّم" من تجربته خلال الزيارات التي قام بها، ولا خلال الدعوات التي لبّاها، واعتبرها تكريما لذاته المبدعة، مع أنها جاءته من جهات يثور كثير من الأسئلة حول ارتباطها بذلك التوجه القديم، الذي ثبت فشله، ولم يعد مطروحا إلا بحجم الفائدة الذاتية لمن يتبنونه.

إن التعايش المقترح في الرواية لا ينتهي إلا عند أبواب التطبيع، حتى وإن تصور الكاتب أنه قد يفيده في ترويج ما يكتب، وظنّ أنه يطرح نفسه - للغرب على وجه التحديد - مؤمنا بذلك، ربما بافتعال سوف يشعر به الغربيّ دون عوائق، إذا أتيح له أن يقرأ.

نقطة على حرف

نوبل وجائزته!

• مالك صقور

كثيرة هي الجوائز الأدبية في العالم وفي الوطن العربي. ويعرف الجميع إيجابيات هذه الجوائز، ولا أريد التفصيل بالإيجابيات. ولكن الذي يجب قوله هو أن بعض هذه الجوائز (ملغومة) و(مشبوهة)؛ مذ بدأ المال غير النظيف يموّلها ويشرف عليها، خاصة، مال البترو دولار، ولا يخفى على المثقف العارف، كيف تسللت الصهيونية لتحريك بعض هذه الجوائز، والإشراف عليها بالسرّ؛ كما ويعرف المثقف العارف الوطني كيف تم ويتم تجميل هذه الجوائز (الملغومة)، وكيف يتم (التطبيل والتزمير) لهكذا جوائز، وكيف تُمنح؟ ولقد اتضح بعد حين، أن هذه الجوائز ليست بريئة، وليست نظيفة، وأن الأسماء التي حصلت عليها، ليست هي الأفضل.

وجائزة نوبل، هي أكبر هذه الجوائز في العالم، وهي الأكثر شهرة! وما زال الكثيرون يحلمون بـ «نوبل» - أقصد يحلمون بجائزة نوبل-

وبالمقابل، حصل عليها كثيرون، يستحقونها، فعلاً، وعن جدارة، ومنهم قد حصل عليها لا يستحقها، لا بل من العار على القائمين عليها، أنهم منحوها لمجرمي حرب، وهذا ما خفّف من أهميتها و(هيبتها)؛ والأمثلة كثيرة.. كما لا يخفى على أحد مَنْ يهيمن على هذه الجائزة، وقد أصبحت سياسية، والأمثلة أيضاً كثيرة!!

وبالمقابل أيضاً رفضها أدباء يحترمون أنفسهم وسمعتهم، فتأمل!!

• • •

ألفريد نوبل ذاع صيته، وأصبح مشهوراً جداً بعد إطلاق جائزته.

لأنه (صاحب الجائزة) المشهورة جداً. ولقد طغت شهرة جائزته، وتوزيعها في العالم، على شخصيته بالذات - وعلى الأسباب التي دفعت نوبل على إقدامه لتقديم هذه الجائزة، لأناس أسهموا ويسهمون في خدمة البشرية وإنقاذها من ويلات الأمراض، واكتشاف أو اختراع يسهم في الشفاء، أو التخفيف من آلام الشعوب، وآثار الحروب المدمّرة.

يقال، إن ثمة سببين، أو دافعين، دفعا أو شجعا نوبل على ذلك:

الأول: تخليده. أي، أن تخلّده هذه الجائزة، وهذا ما حصل فعلاً.

الثاني: أن يكفّر عن ذنوبه في اختراع (الديناميت، والبارود) وإنتاج هاتين المادتين، واحتكارهما، والتجارة بهما، وجني الأرباح من غير حدود...

ولكن ثمة سبباً آخر لا يعرفه الكثيرون، وهو أن من دفَعَ وشجَّع الفرد نوبل هي السيدة (برتْ كنكي) والتي سأعود إليها..

• • •

لا يخفى على أحد ما قام به نوبل في اكتشاف (الديناميت) ويعدّونه، أنه قدّم «خدمة» علمية هائلة، أفادت في تفجير الحجارة، والرخام، وربما المرمر، وذلك أسهم في شق الطرقات، وإزالة الصخور.. الخ... لكن نوبل نفسه، كان على يقين تام، أنه كان هو السبب بمقتل الملايين سنوياً، جراء هذا الاكتشاف وهذا الاختراع، وهذا ما جعله شقياً، وتاعساً، وبائساً، يأكله الندم وتأنيب الضمير على ما فعل، كما يقال..

وإن كان قد وجد ألفرد نوبل، من ينعم بفوائد اختراعه، والتجارة بالديناميت والبارود، ويجنون الأرباح الطائلة منها، سواء من الذين صاروا ينتجون هاتين المادتين، أو من القائمين على هذه الجائزة، أو حرّاس ثروته، أو الذين مُنحوا هذه الجائزة الكبيرة، فإنه هو نفسه، عاش بائساً، تعساً، حزيناً، وحيداً، خاصة، بعدما ابتلي بداء المفاصل، وارتخاء العضلات، حتى السكون التام. وعدم تمكنه من الحركة، يقتات به الشلل كلياً، حتى إنه ما عاد يتحكم بجفون عينيه. فإن أغمض عينيه، ما عاد قادراً على أن يفتحهما، وإن فتحهما، ما عاد يستطيع أن يرّف بجفنيه.

والذي زاد تعاسته وبؤسه، وشقاءه، أنه يملك هذه الثروة الهائلة، حتى يُعدُّ أغنى رجل في العالم، ما عاد هذا المال وهذه الثروة، تنفعه بشيء، لا في مأكل، ولا في ملبس، ولا في دواء. ولا في شفاء. حتى بات يحسد أبسط الناس وأفقرهم...

ألفرد نوبل لم يتزوج. وهذا يعني، أن لا أولاد له ولا أحفاد؛ كي ينعموا بهكذا ثروات طائلة هائلة، إذن! لمن سيترك هذه الأموال، وهذه الثروات... من هنا، جاءت فكرة الجائزة، ربما...

ولد ألفرد نوبل في (استكهولم)؛ ودَرَس في روسيا القيصرية. في مدينة (بطرسبورغ) - لينينغراد سابقاً - بطرسبورغ حالياً.

عكف نوبل على دراسة مادة (النيتروغليسرين) وبدراسته لهذه المادة، اكتشف (الديناميت). وحصل على براءة اختراع.

وصنع هذه المادة القاتلة الفتّاكة، ومن ثم راح يطورها، ومنذ ذلك الحين، تطورت أدوات القتل، والتدمير، وتطوير الأسلحة، وأصبحت هذه المادة، مرغوبة للتجارة؛ وأي تجارة!!!

لم يكتف نوبل بذلك، فطّور اختراعه هذا، حتى سجّل حوالي مئة وثلاثين اختراعاً باسمه، وعندما صارت ثروته كبيرة، اشترى حقول نفط بالجملة، منها (حقول النفط في باكو).

نوبل هذا، ولد في (استكهولم)، ودرس في روسيا، لكنه نقل أعماله إلى أمريكا، وأشرف على خمسة عشر معملاً لصناعة المتفجرات. ومات في فرنسا، لا حول له ولا قوة، وكما قلت، يقتله الندم على اكتشافه واختراعه هذه المادة التي أحرقت الأخضر واليابس، وفجّرت الجماد، وقتلت العباد، وبات يقتات بتأنيب الضمير، وعاش آخر أيامه، وحيداً، يعاني من مرض لا شفاء منه، لا يفيد معه مُسكّن، ولا يقوى على الحركة أي، حركة، حتى رف جفنيه كما قلت. وفي قرارة نفسه، ربما، كان على يقين، أن ذلك من الآثام التي ارتكبها بحق البشرية. أو باستخدام هذه المادة في غير موضعها.

وأعود إلى السيدة (برت كنكي)!!

فمن منكم سمع بهذا الاسم؟ ولكي لا أطيل عليك عزيزي القارئ، أقول: برت كنكي، ليست ممثلة مشهورة! ولا راقصة ذائعة الصيت! ولا فنانة كبيرة! ولا شاعرة مهمة! ولا عارضة أزياء، ميّاسة القوام! ولا أميرة من الأميرات!

برت كنكي، ببساطة: هي إحدى سكرتيرات السيد نوبل. والسيد نوبل وقع في غرام هذه السكرتيرة التي كان يثق بها جداً. طلب يدها كي يتزوجها، لكن هذه السكرتيرة رفضت!

كرّر طلبه، مثنى وثلاثاً ورابعاً، لكنها رفضت. فوق ذلك، أعطاها مهراً لا يتوقعه أحد، هو أنه وضع ثروته، وكل ممتلكاته تحت تصرفها، وبين يديها، لا يسألها سائل، وليس عليها قيّم، مع ذلك، رفضت بإصرار... رفضت الجاه، رفضت المال، رفضت الثروة، رفضت أن تكون أغنى امرأة في العالم، لسبب بسيط، ربما، أو لسبب غاية في الأهمية. وهو: أن برت كنكي، كانت تحب شاباً آخر.

يدعى هذا الشاب: (آرثر دوسوتنر) - هذا الشاب، حبيبها، كان قد نذر نفسه للسلام.

حبيبته برت كنكي، اقتنعت برأيه، وأفكاره، فتطوعت معه، للعمل من أجل السلام العالمي.

برت كنكي هذه، هي التي اقترحت على السيد نوبل، وأقنعته أن يخصّص من (فوائد) أمواله الهائلة والطائلة، جائزة كبيرة، توزع على ثلاثة:

1 - الأديب.

2 - العالم.

3 - رجلَ السلام.

وذلك لاعتقادها، أن حصول هؤلاء الثلاثة المتميزين للجائزة يسهم في إنقاذ البشرية، من ويلات الحروب ومآسيها، ويكون خدمة للبشرية جمعاء، وللإنسانية، ضد الشر المتربع على العروش، الشر الذي اخترعه نوبل وتاجرَ به، وتحوّل فيما بعد إلى تجارة رابحة تستغلها شركات صنع الأسلحة وتطويرهما.

وكان سبباً في التدمير، والقتل، وسفك الدماء وتقويض المنشآت.

استطاعت برت كنكي التي عشقها نوبل، أن تقنعه بفكرتها.. فوافق على اقتراحها، ونصيحتها.. وكان على استعداد لذلك، كونه (أبتر)؛ لا زوجة، ولا أولاد، ولا أحفاد، لا أقرباء.

وما إن وافق نوبل على هذه النصيحة؛ حتى غادرتْ وخطيبها، يبشران بالسلام والمحبة، في رحلة طويلة في أرجاء العالم.

في نهاية الرحلة، حطّتْ برت كنكي وخطيبها، في مدينة (استكهولم)؛ فاستقبلهما نوبل بحرارة ملفتة؛ وفرح بهما فرحاً لا يوصف، ورحب بهما ترحيباً عظيماً، وإكراماً لهما فتح لهما قصره، ووضع خزانة ماله تحت تصرفهما.

شكرته السيدة برت كنكي... وقد لمحت في عينيه العشق القديم، فهنأته على إطلاق الجائزة، لمن يسهمون في خدمة الإنسانية..

فابتسم قائلاً:

«كل ما هنالك، أنني وضعت باقة زهر صغيرة على قبر حب قديم».

(ذريح العقل)

• د.غسان لايقة طعمة

الآن تجسدت أمامي حال الشاعر قيس بن الملوّح - مجنون ليلى – عندما قال في إحدى قصائده الوجدية:

سأظلّ ذريح العقل ما أطعم الكرى
وللقلب مني أنّة وخفوق
فهو مشتت الأفكار محروم من الرّقاد، نبض قلبه أنّات وتوجّعات وكلّ هذا بسبب ليلى المريضة في العراق
فكيف إذا كان العراق مريضاً وسوريا جرحا نازفاً؟!

ألست معذوراً إذا كنت ذريح العقل مشتّت الأفكار، محروماً من النوم والرقاد، أسمع الأنّات والتوجعات من نبض شريان يدي؟!

طالت السنوات، وفي كلّ دهر لا يسرّك طول، وغاب الأحباب والأصحاب بين غياب أبدي، وغياب مؤقت، وقد يكون أبدياً، والغياب الأصعب الأقسى غياب من لا تعرف لهم مصيراً، تسأل ابناً عن أبيه يصعقك بالقول: ألم تخبر؟! ألم تعلم؟! منذ سنتين خرج من الدّار ولم يعد.

تغيم الصورة في عينيك، يرحل تفكيرك خلف قريب أصبح قريباً من الدائرة القطبية الشّمالية، ولا يلبث أن يرحل خلف حبيب اقترب من الدائرة القطبية الجنوبيّة، وسرعان ما يحطّ تفكيرك رحاله عند صديق احتضنته الغابة السّوداء في ألمانيا. تدور بكَ الدنيا وأنت جالسٌ في بيتك المستعار.

تشعر بدوار دهليزي وأنّ أذنك الوسطى أصبحت مغارة جعيتا أو الضّوايات، تتذكر: المغتربون المؤقتون الذين كانوا يبهجون الرّوح بعودتهم كلّ صيف، أكرهتهم الأيام على الاغتراب الدائم إلى حين لا نعرفه، ومن يعود سريعاً ويرحل سريعاً يردّد على مسامعك:

صوارينا تعود اليوم
تبكي حظّها العاثر
صوارينا تعود
الريح ما تركت لها آخر

تتسمّر عيناك على الشّاشة الصغيرة، هذه الشّاشة العجيبة التي اقتحمت على الناس بيوتهم، وغيّرت تعريف الإنسان الذي طالما سمعناه من فلاسفة ومفكرين: الإنسان حيوان يتلقى إعلاماً.

ترى كيف يعيش الناس في جزيرة بالي فتعجبك حياتهم، تحدّق في اللآلئ و الكريستال البوهيمي وبصرك منبهرٌ بالبحيرات السويسرية، تقف مع الواقفين على شاطئ جزيرة ـــ هاواي ـــ، هذا الشاطئ السّاحر الذي صنعه الإنسان برغبته وإرادته، تشعر أنك لست أنت ...تتذكر صديقك أبا جمال الذي كان يردّد دائماً: لقد أفسدنا التلفاز.. أتمنى عليهم أن يعرضوا علينا ـــ فقط ـــ مشاهد من الصّحراء التشاديّة، ومن المدن الصوماليّة، والقرى البنغاليّة لنشعر أنّنا (دح)

تدور حولي الجدران، يهبط السقف ويصعد، يشتدّ الدوار الدهليزيّ، وأظلّ ذريح العقل... إلى متى؟.... إلى أين ؟؟!!

سائل!

• غسان ونوس

يسألُ:
كيف الدّربُ إليك؟!
كيف الوجدُ اشتدَّ
قبيل الوعدِ؟!
وكيف امتدّ الوجعُ
بُعَيْدَ الوصلِ؟!
وكيفَ أنازعُ شكّي؟!
يسأل
مَنْ في الدّرك الأدنى
يدعو
كي أتطهّرَ من
نشوتيَ الحرّى؟!
كي أسموَ في زهدي فيكَ
وأشقى في زهدي منكَ
وألقى
قبلَ التوبةِ
أو بعد الصحوةِ
حتفي؟!
يسأل
كيف عبرتَ كياني
وأنا الموصدُ بالحكمةِ
والورعِ المعلنِ
والقلق المكتوم؟!
كيف ملأتَ المشهدَ
وأنا الأعمى
عجزتْ عني الصلواتُ العظمى
أو أغشت روحي؟!
يسأل
كيف سمَوتَ إليَّ
أضارعُ شهداً
في أركان قصوى
وأخمّر في الحنْواتِ
رحيقاً
من شذّاذِ الزهرِ
وكيفَ حللْتَ بنبضي
وقعاً
أوغلَ في التجويدِ
وقلبي
أسرف في التبكيتِ
وأندى أنفاس البوحِ
وأغشى؟!
يسألُ
عن بعضِ السرّ المكنون
وهو العارف بعضاً
وهو القابض بعض
الجمرِ
وهو العابثُ
وهو الواقدُ
وهو الماردُ
وهو الشاردُ في فلواتِ
النجوى
يسألُ
وهو العارف
أني السائلُ
أني الجاهلُ
أني الغافلُ...
وهو العارفُ
أنّي قيد رحيقٍ
من فيضِ خوابيه القصوى
يسألُ
وهو العارفُ
أنّي رهن جوابْ!

دمعة يتيم

•محمد خالد الخضر

يتامى يا أبي... صرنا يتامى
وما عشنا المحبة والسلاما
أتدرك يا أبي لازلت أرعى
عهودك والمروءة والذماما
وجاء الذئب يأخذني بعيداً
أنا وأحبتي تهنا انقساما
نجمع بعضنا يا أبتاه حتى
تلافينا الضغائن والخصاما
أبينا أن نسير إلى خنوع
ونأكل في مسيرتنا حراما
أتذكر كم حملت هموم قوم
وقاسمت الثكالى والأيامى
ولاذ بجانبي جار جريح
فما أنقصت للجار احتراما
كأني يا أبي أمضيت عمري
على تعب فأغرقه انهزاما
تلاحقني الفضيلة في طريقي
وتشبعني رزايا وانتقاما
فمسخ صار يمنحنا وعيداً
ووغد صار يهدينا الكلاما
ونخطف دون أن ندري بشيء
يورطنا ولا ندري إلاما
ويسلبنا صديق ما لدينا
أولئك يا أبي كانوا كراما
يعدون الولائم للغريب
على غدر إذا ما الضيف ناما
على وهم التحرر كل نذل
وجاسوس يبعثرنا اقتحاما
ويطلع فجأة بطل عظيم
يقال بأنه غلب العظاما
ونصب نفسه وارتاح فينا
وقال وحوله فرض الزحاما
سأهديكم بطولات ونصراً
وأملأكم خراباً أو سخاما
فرحنا مسرعين وما سألنا
لماذا أحكموا فينا اللجاما
وصرنا ضفتين على مسار
وما اعتدل الطريق وما استقاما
أليس " الأخ " من أهدى قديماً
مفاسده إلينا يا "نشامى"
أليس الآخر العالي جناباً
رتيبا أين خبئها وقاما

وأفتى آخر حتى ارتكبنا
مجازرنا وصلى ثم صاما
كلانا يلتقي بوطيس عار
وتركيا تعلمنا النظاما
وثمة دولة أخرى تمادت
ونحن ورائها نمضي لزاما
وقد ضاع الطريق كما أراها
توزع في مرابعنا الظلاما
ثعالبنا على الجرحين تأتي
تساقط يا أبي عنا اللثاما
وتجار الدماء تمد سوقاً
وتمنحنا الوصاية والوساما
وأصبح للهلال جميل شكل
فأحمره على السرقات هاما
أرى الدجال يأتي من شمال
وصوت الحق قربي قد ترامى
وإسرائيل صارت قاب قوس
وذئب الحي قد أضحى إماما

نجوم الظهر

• سامي محمود طه

كان (نجوم) يسابق العصافير في ارتياد دروب الصباح وصولا إلى مبتغاه الذي لا يختلف كثيراً عن مبتغى العصافير وهي تغادر أعشاشها..

يستلّ من جعبة الصباح سيف ابتسامة يلوح به في وجه من يلتقيه من مكفهري الوجوه، فيستسلم بعضهم ويبتسم، ويتمنع آخرون، فيواجه اصفرار وجوههم بسيفه الدونكيشوتي، ويخسر معاركه.

كان (نجوم) رجلا في عقده الخامس، ليس له من اسمه نصيب ولا حتى من نسبه، تقوده خطواته إلى سوق الخضار المتاخم للحي الذي يسكنه..

يفرغ ما لديه من ابتسامات وطرائف وهو يعبر بين عربات بائعي الخضار والفواكه ، يقف عند بائع البندورة يرقب حباتها الطازجة الشهية، ينتبه البائع لنظرات (نجوم) فيضع حبات من البندورة في كيس ويقدمه إليه، وبدوره (نجوم) يطلق العنان لدعواته المتميزة، وينطلق بعدها نحو بائع الباذنجان أو البطاطا على مقربة من مكان وقوفه السابق..

وبعد قليل تنبئ دعواته الجديدة بأن حبات من الباذنجان أو البطاطا أو غيرها من الخضار قد أصبحت في كيس ثان يتلقفه الدون كيشوت (نجوم) ودعوات أخرى ، وكيس ثالث..

هنا يساعد في جر عربة.. وهنا يفرغ حمولة سيارة خضار أو فواكه ويضع مايجنيه من أجرة في جيب بنطاله الممزق.. وهنا يقتات من اسمه وصوته الذي يملأ المكان فرحا..(إياكن حدا يغلط.. بتشوفو نجوم الضهر..)

ويقول: (كلما خطر لي أن أرى نجوم الضهر أنظر إلى المرآة..) ويضحك..

يوم، و أيام ، وأعوام.. دأب فيها على تبني خيار الحرب بالابتسامة والطرائف والظرف ، ليجني من ميادينها، ومن عمله البسيط في مساعدة أصحاب العربات كفافاً يعود به إلى حيث تنتظره أم كسيرة آفلة، لم تفلح جهوده على مدى سنوات طوال في كسر حاجز حزنها، أم تستلقي على سرير بائس حزين ملّ انتظار رحيلها.. كعادته، يدفع الأكياس أمام عينيها ليطمئنها بأن الجوع لن يطرق بابها، وهي التي ما تعودت سوى البكاء في عهد هجرة قدراتها على النطق والحراك إلى عالم آخر، أم هي آخر ما تبقى له من أسرته التي قضى أفرادها في حادث سير منذ أعوام طويلة.

ويوم آخر، وجعبة ابتسامات أخرى، غير أن أسواق المدينة التي تحتضن تغريداته، وترى فيه عاشقاً من مريديها تغيّر وجهها هذا الصباح.. السواد زائر مباغت ، جعبته لا تشبه على الإطلاق جعبة (نجوم) فليس في حضرة السواد ابتسامات، جلبة تحكي قصة عثرة تنتظر جموح المدينة الوادعة، قلق وخوف، وعيون ترسل نظراتها إلى ما وراء الصوت ترقب يقيناً قاتماً وشت به عثرات مدن أخرى غير بعيدة، وأخبار خراب، وتكشف الجلبة عن رجال ملثمين يجرون بين الأزقة و بنادقهم تنبئ برعب قادم.

بعد قليل كانت العربات تبكي حمولتها، وبعض أصحابها يفرون في اتجاهات شتى وقد لعلع رصاص وتبعثر أمان.

وبعد بعد قليل أصبح للرصاص وجهتان، وبعد بعد بعد قليل هبطت على السوق زائرة مزمجرة زلزلت المكان، وحده نجوم كان يقف دهشاً خلف جدار لما يسقط ، يرقب وليس على وجهه ابتسامة ولا زال يتشبث بكيس أسود هو أول ما جناه هذا الصباح.

جرب أن يباغت المشهد برشفة من جعبته عله يطرد شبح العبوس إلا أن سهامه لا مكان لها في عالم الرصاص والقذائف.

ولأول مرة ربما في حياته بكى نجوم وهو يشهد تدفق شلال بلون حبات البندورة الطازجة من جسد بائع البندورة الطيب وهو يستلقي قرب عربته، جرب أن يدعو له حتى من دون كيس أسود، لكن دعواته بقيت في فضائه الصغير، وربما أصابتها رشقات الرصاص المجنون ، تماهى مع قول الشاعر الجاهلي:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

مع أنه لا يعرف الشعر الجاهلي، ولا حتى مراحل الحضارة الإسلامية بمجملها، فحال أمه البائسة أكثر أهمية لديه من التاريخ برمته، حال امه التي ترى فيه فارساً نبيلاً، فتغدق عليه بعينيها فيض دعائها.

أخطأته المنايا فلما يمت ، ظل واقفاً ، ودموعه تنثر باقة من ريحان على جثة بائع البندورة، وغير بعيد كان بائع التفاح مضرجا بدمه ، يئن ، وهو يمدّ يده لعل مسعفاً يعبر عنه آلامه وغير بعيد تقدم أناس وسط هدوء وصمت رصاص، أناس لا يعرفهم نجوم، فهم لم يدخلوا السوق هذا من قبل، ووجوههم الغريبة لها رائحة لا تشبه رائحة مدينته الطيبة..

اقترب منه أحدهم، سأله : من أنت؟!

أجاب: نجوم.. نجوم الضهر

وحاول أن يسدل الستارة على حديثه بابتسامته.

قهقه السائل، وهو يوجه أخمص بندقيته إلى صدر نجوم ويضربه بها بقوة أسقطته أرضاً : قلت نجوم الضهر، سأريك نجوم الضهر أيها السافل، لعلك تسخر منا.

ربما هي المرة الأولى التي يلوم نجوم والده على تسميته ، كان هذا الاسم عربة خضار يقتات وأمه من كرمها ، يستذكر وسط هذا الفزع الثقيل كيف كان يردد بصوته الضاحك: أتريدون أن تروا نجوم الضهر.. انظرو إلي.. اليوم.. نجوم يوشك أن يرى نجوم الضهر من دون مرآة.. ربما سيراها حقيقة للمرة الأولى في حياته..

اقترب رجل آخر تغطي لحيته الكثة وجهه العبوس ، قال الرجل الأول: من هذا!؟..

رد الرجل: يقول إنه نجوم الضهر ، أو أنه يريد أن يرينا نجوم الضهر. وقبل أن يجيب نجوم ويدافع عن نفسه أخذ الرجل الملتحي يركله بقسوة ، ربما لايقل ألمها عن ألم بائع التفاح الذي لفظ أنفاسه وهو يشهد صلب نجوم.

تبعثرت كلمات على لسانه ، حاول أن يقول ، ولكن هنا الآن لا مكان للكلام ، ولا لميادين الابتسام ، بعد قليل زارت صدره رصاصتان ، ربما لم يسمع صوتهما، حملتا روحه لتعانق أرواح بائع البندورة، وبائع التفاح وغيرهما، لم يبتسم وهو يطوي حكاية حربه الدونكيشوتية والكيس الأسود تحرّر من قبضته ليفصح عن تفاحتين شهيتين حمراوين، لم يبتسم ، ربما لأن خلف جدران قريبة من مكان تبعثره ترقد أم كسيرة آفلة تستلقي على سرير بائس حزين ملّ انتظار رحيلها..

لكن.. لن يطول الانتظار كثيراً ، فأكياس الكفاف لن تعود إلى بيتها بعد الآن ، وفارسها النبيل خادمها الطيب نفض أوجاعه وارتقى ، والمدينة الوادعة الطيبة هي الأخرى تلملم أسواقها ونجومها وتاريخها وتتهيأ لسرير ثبات كسرير أم نجوم ، وربما تلفظ أنفاسها.

زرقة الآفاق في وطني

• مالك الرفاعي

أَتُراهُ قَدْ طالَ الرَّجاءْ؟!
وسادَ هذي الأرضَ شَرْعُ الغاصبينَ الغاشمينْ الأَدعياءْ
وَطَنٌ يسافرُ في مجاهيلِ المتاهة
خطَّطوا أنْ يرَسلوهُ إلى الجحيمَ
إلى مفازاتِ المهالكِ والفناءْ
يا زُرْقةَ الآفاقِ في وطني
وشمسَ الحُبِّ أينَ تُراكْ؟
انظرُ في الجهاتِ فلا أرى إلاَّ قناديلَ الدِّماءْ..
لكنّها شامُ العروبةِ والشهادةِ والإرادةِ والفداءْ..
تبقى العصيّةَ والأبيّةَ وهي عاصمةُ الإباءْ
والشآم لم تأبَهْ بأعرابٍ وأغرابٍ ولا مَنْ خلْفَهَمْ،
إنَّ الجميعَ إلى جحيمِ العارِ في الدَّركِ السَّحيقِ
من الفناءْ
هذا زمانٌ أيُّها العربيُّ قاومْهُ بكبرِ إرادةِ الإنسان
ما الإنسانْ إنْ فَقدَ انتماءَ الكبرياءْ؟!
حرباءُ هذا العصرِ أمريكا..
ولَّتْ خلْفَها كلَّ الأبالسِ والقرودِ
وكلَّ أنواعِ الحثالاتِ التي جُبلتْ
بذلِّ الانحناءْ
والحقُّ مهما غَيَّبوهُ وكبَّلوهُ.
وحاربوهُ وأنكروهُ ..
يظلُّ وحيَ اللهِ أغنيةَ الطفولةِ
في أراجيحِ السَّماءْ
يا حراءَ الحرفِ.. يا قُدْسَ المعارجِ
أنتَ وحيُ عقيدةِ الشُّهداءِ والخُلَصاءْ
هذا زمانُ الشامِ.. أبادٌ منَ الأمجادِ
في تاريخِ مَنْ كتبوا حروفَ المجدِ
في قلَمِ الشَّهادةِ والدِّماءْ
يا سيفَ دَوْلتنا العزيزةِ والأبيَّة
أيُّها البشَّارُ يا رمزَ البطولةِ والإباءْ
قسماً برأسِ أبي العلاءِ..
ورسالةِ الغفرانِ
لن نغفرْ.!
سَنَقْطَعُ رأسَ مَنْ قَطعوا
لرأسِ أبي العلاءْ..
أطبيبَ عينِ العربِ داوِ العينَ
ثمَّ القلبَ
ولْتَمْسَحْ جراحَ المؤمنينَ الأنقياءْ
أقسَمْتُ بالإنسانِ في وطني الذي قَدْ
أبدَعَ التاريخَ.. جدَّدَهُ وطهَّرهُ
بأنهارِ الدِّماءْ
لحذاءِ جنديٍّ شريفٍ.. لم يَزَلْ
أسمى وأشرفَ من تيجانِ
الملوكِ...
ومن عروشِ القادمينَ منَ الهَباءْ
أقسمتُ بالشُّهداءِ.. منَ نذروا النفوسَ..
فداءَ هذي الأرضِ.. وارتحلوا..
ليأتوا كالنيازكِ والضياءْ
إنّا سنثأرُ من أعاريبِ النِّفاقِ
ومن سلاجقةِ الضلالِ
ومن حثالاتِ البغاءْ
ولطالما.. نحنُ الورثنا في الورى قيمَ الإرادةِ والشَّهادةِ..
من شذى روحِ الحسينِ بكربلاءْ
إنّا سنبقى هاهُنا في أرْضنا
ولنا الجبالُ.. لنا السواحلُ والصحارى
والبحارُ لنا قواميسُ الحقيقةِ والحضارةِ
والحروفِ..لنا بيوتاتُ الفداءْ
ولنا مفاتيحُ الجنانِ
وكلُّ أبوابِ السَّماءْ

أعياد نيسان..

•مرام دريد النسر

نيسانُ أقبل و الأوائل عادوا
روّى الترابَ على المدى استشهاد..

نيسانُ جاء مع الصباح محملاً..
ببريد من حفظوا الديار و جادوا

أمَّن أعاد إلى الشآم ربيعها..
أمَّن توسد صدره الأجداد

و أفاء بالزاد الوفير على الربا
كمن استباح ترابَه الأوغادُ..؟؟!!

كمن ارتدى ثوب الصَّغار و أطرقت
عيناه مذ لفَّ العروسَ سوادُ

أبتِ المراكبُ أن تسير لآخرٍ
يأبى لغيرك أن يسير فؤاد

نشر العلوم غداة جهل مطبقٍ
رفع القواعد فكره الوقاد..

صعد الحبيبُ إلى السماء فقُطِّعتْ
لفراقه من وجدها الأكبادُ

بكت العيون على الفقيد وما انثنى
عن ذكر طيفك شاعرٌ و مِدادُ..

لم تمهل الأقدار أنبل قومنا..
رحلتْ بعيد وفاتك الأعياد

يا حافظا.. بالله عد لديارنا
كي يحتفي بلقائك الأولاد

من قال إن الموت فرق أمتي..
تأبى ظلالك أن يشيع فسادُ

بشار أشرقت الحياة بنوره
أثنى على كل الذين أجادوا

حمل اللواء بكل عزم وانبرى
في وجه من نكثوا العهود و كادوا..

جبلٌ بوجه الريح ليس كمثله..
في الحرب ينهض فارسٌ وجواد

جارٌ إذا حمي الوطيس و عنده..
من رفعة النفس الجموح عتادُ

ملكَ الحروف فما يقول قصيدة
إلا و أشرق في المحافل ضادُ

أوراده عند المساء كثيرةٌ
للدين أنت ركيزةٌ و عماد..

صفصافةٌ في الحي أينع زهرها
و بها استظل من الحرورِ عبادُ..

لم ينتظر ردَّ الجميل و هل ترى
تحيا بغير عطائه الأفراد؟؟

أنت الحسام بوجه كل مكيدة
ترمي لمس ترابنا و تُكاد..

أنت الذي إن شاء هز عروشهم
هيهات.. تدركُ خطوكَ الأمجادُ

هيهات تولد في الصباح قصيدة
تشدو بغيرك أيها المقداد..

هيهات.. تجتمع الفضائل كلها
في ذات غيرك أيها المقدادُ..

لكِ.. الحب

• رائد الفرا

- 1 -
يرتعش...
هذا المسجى
شهيداً
في عالم محنط
يعتق دمه
يفرش
شفتيه
... للعشاق
يهزم
ذاتاً
تتقمص
بخوراً من الشرق
ساحرة
تمتشق
الرغبة
هو...
بين يدي الرب
يطأ... الحلم
يترنم
وأنت
تنامين على كتف
... الخيال
يا امرأة...
من دفء
وحلم
تستبيحين مأساتي
... وأسوار حزني

- 2 -
أبتكر..
اللحظة
أجالسها.. قربي
فتحصدني...
وثبة الوريد
تقدمني...
لامرأة الماء
أيقونة... الصحو
ليبدأ...
النورس...
رقصته... الخجولة.

آهات

• أحمد جميل الحسن

ليس سهلاً عليك أن تغير نمط حياتك التي اعتدته بهذه السرعة أو البساطة، وليس سهلاً أن تنام أحلامك على أمل وتصحو على قهر طارئ يذهب بالعقل والقلب معاً.

كنت في بيتك الذي قضيت جل عمرك في بنائه وتأثيثه وترتيبه، تجلس على الشرفة بعد العصر وأمامك كوب من الشاي مع النعناع تتصفح جريدة أو تتأمل حركة الشارع الدؤوبة التي لا تهدأ، يلوح جارك الذي يسكن في البناء المقابل بيده محيياً وقد استفاق لتوه من قيلولته ويهيئ نفسه لارتشاف فنجان من القهوة مع سيجارة حمراء طويلة. تجلس بعد الغروب أمام شاشة التلفاز تقلب وتقلب القنوات الفضائية ، تستمع إلى نشرة الأخبار ، تمط شفتيك وتعلق : " لا شيء جديد " تتابع مسلسل الولادة من الخاصرة بشغف ، ثم تضع رأسك على المخدة جانب زوجتك وقد غفت باكراً بعد أن أنهكها العمل في البيت وتترك أحاسيسك وأمنياتك تجول في الخيال الخصب، وتحلق في تخيلاتك وتنام على أمل أن ينسج لك الليل أحلاماً جميلة.

وعلى ثغر المدى تضحك الأيام ، وتزهو المسافات ، وكم وقفت على حدود العمر وتأملت ذاك الزمن الذي يلهو بارتعاشات الشوق ، ويسخر من قدسية العشق .

كنت تعيش وسط لفيف من الجيران وكأنكم أسرة واحدة تتشاركون السهرات والآراء والرحلات الجميلة إلى الغوطة والساحل والزبداني، كنت تستلف من جارك ألف ليرة قبل آخر الشهر، أو تقترض رغيفي خبز، تذهب إلى الدكان المقابل لبيتك تماماً تستدين أوقية قهوة أو نفس معسّل لآخر الشهر، حين في شارع الحي تعرف كل سكانه توزع التحايا على الصحاب والمارة والباعة المتجولين وأصحاب المحلات الذين طالما تصبّحت وتمسّيت بهم واحتسيت القهوة أو الشاي معهم على الرصيف أمام المحلات ، وتجاذبتم أطراف الحديث عن أحوالهم وعن المعيشة وغلاء الملابس وبعض المواد الغذائية ويتشعب الحديث ليصل إلى الأحداث التي تجري في مصر وتونس واليمن وليبيا ، وتحمدون الله أن البلد بخير وبعيدة عن الفوضى التي عمّت تلك البلدان .

وجدت نفسك فجأة في أتون الفوضى صخب وضوضاء غوغاء ورصاص وقنابل وانفجارات ، دم وقتل وفصائل وسلاح وشعارات .

لم يحتملك المشهد، غافلتك زوجتك واحتضنت الصغيرتين وأوصالها ترتجف وخرجت من البيت، تبعتها ، ولم تدر أين يقودك فرارك، هذيت بما يشبه النواح وأنت تحمل متاعك الشخصي وتجر قدميك على غير هدى .

في ركن قصي في الغرفة الكبيرة التي كانت صفاً للتلاميذ تقوقعت وأسرتك الصغيرة، ضجيج وشكاوى وتمتمات وهمسات وتهاليل وحوقلة كلها كانت تنخر أذنيك اللتين تعودتا سماع الحمد والشكر على هدوء البال والاستقرار في بيتك .

تمدون صحونكم عند وجبات الطعام كمتسولين ينتظرون ما يجود به الناس عليهم، تتحسس جيبك التي خلت أو كادت من النقود ، همست بقهر : " لا بد أن تفرج " وأنت تعرف أن الوضع يزداد سوءاً . تهمس لنفسك بألم : " أيها الزمن المتكئ على عذابات الناس لماذا تتوقف عند ضفاف الخراب، أما كان الأجدر بك أن تمضي إلى صباحات الريحان، وشرفات الأحبة، وأن تحيّي مساءات البيوت الناعسات على خدر الوشوشات العاشقة".

عادت زوجتك شبه راكضة وارتمت على الأرض وألقت برأسها على صدرك وأَخَذَتْ تبكي بما يشبه العويل ، جاهدت لتعرف ما حدث كانت كلماتها ممزوجة بدموعها وهزيمة روحها عندما أعلمتك أن رجلاً فتح عليها الباب عندما كانت تقضي حاجتها، ضممتها إلى صدرك بقوة وأخذتما تنشجان معاً .

كدت تنسى ما حصل لزوجتك عندما سمعت صراخ امرأة فتح أحدهم باب الغرفة الصغيرة التي خصصت للاستحمام وهي بداخلها عارية تماماً.

جلست بحجرك الصغيرة وتوسلتك " الله يخليك يا بابا ما بدنا نقعد هون بدنا نرجع على بيتنا " ضمّمتها ، قبّلتها هالك الحزن الذي عشش سريعاً في براءة عينيها . تفجرت براكين صدرك وانتفضت روحك من سكونها، صرخت وصرخت صراخاً حاداً ولم يسمعك أحد.

وقلت بكيت لك

•رشا الصالح

لأني أخاف كثيرا وكثيرا أن تبرد مواقد القلوب وينطفئ الجمر الذي يشعل ملامح الأجواء ، أن يذبل الشغف ويكفهر وجه الأسطر في ميادين الأشواق ،وتهاجر من محيط صمتي نوارس السلام .لذلك وقبل أن تشنق الثواني من البعد وينتحر الكلام ،قررت أن أكتب لك وبك و للعالم إلى أن ينقشع الغمام .

فإني قبلك لم أكتب إلا قليلا ،ومعك انهمرت الكتابة من بين أناملي كأرتال من مطر هائم جامح على صفحات الأيام ،وغدت كوشاح من ياسمين وأقحوان يلبسني من جميع الجهات ،له وقع خطى نيسان على أرض المواسم والحكايات.

نعم سأكتب فلم يعد ما يمدني بذاتي وبك إلا خربشات الأقلام

سأكتب كلما ضاقت بي مقاسات العبارات ،وهاج بحر الحنين فيَ، وأضرم طوفاناً في الأعماق، وكسا الروح من عريها وبعثر بدفئك كل الخطايا و الآثام.

لأتمكن حينها أن أغمر الكون حباً، وأزلزل السماء فرحاً لتضج بالعبق وزرقة الآفاق.

لذلك أحاول مرارا إعادة صياغة وجه الوقت بحرفية صانع رسام ، أنحت الضوء لونا لنا و أمحو ظلال الوجع وأخطه من جديد بارتعاش الأصابع حينما تلامس جسد الذكريات. فأمتلئ كل حين بك وأتجدد مع اللحظات .

وأهوى تعبي في البحث عنك في نهايات كل الجمل وفي ارتفاع الفواصل وانخفاض كل النقاط. وازداد عبثا بترانيم الأحرف علها تتسع لي و لك، وتختلف كل موازين تطلعاتي وأشبع كل الرغبات، بزخرفة قصيدة لم تخلق بعد و سرد لرواية نادرة في تاريخ الأساطير تعادل حجم الوجد .

أستورد من عالمك الصور، أحيك سراديب الأمل، وأصب عليها زيت محبتي كي لا تختلج الكلمات، ولترفرف أجنحة القوافي في كل الفضاءات.

واطمئن حينها بأني استنشقتك هوائي و تنفس معي قلمي المتلعثم المخنوق برائحة الأحزان، متأهبا لجلسة الصلب فدوة لمعالم الحرية كلما جسد رمزا للانبعاث والخلق في ساحات الانعتاق، لمفاهيم عتية عن الوصف كالحب والحياة والوطن المنفي فينا المشتعل المنتحب في أقاصي الغربة والانغلاق .

سأكتب لاتسلني متى وكيف و لم ؟

ألم يكن الحبر سفيرا للقلب والعقل إلى سفارة الأوراق ؟؟؟!، أختزل معه مشقة السفر ، فالحبر تفعيل لأيقونة الزمن ، تنضج معه مواعيد مبرمة مع القدر فهو يمسك باللقاءات الهاربة يثبت تفاصيلَ غائبة حاضرة من زعلٍ وهجران وأسئلة للنكران ،يحاكم القلب في محكمةِ اللانسيان، يزهر حدائقا ويحرق غابات.

وحده الحبر يختصر المكان.

وأطير به إلى قنصليات الحوار ومجالس القناعات، فهو مجدافي للإبحار إليك إلى بر الأمان ، حيث أطوف حول عوالمك وأعيش دهشة المعاني، وأتربع فوق منابر الأحلام.

فيكفيني لأكتب أن أحرك أناملي التي تسكنها أضم بك وجه الإلهام، وأنقلب عما كنت عليه كأصولية متطرفة الأسئلة إلى يسارية متيمنة الأجوبة، فيعلو في عيني شأن الوجود وترقص الأكوان .

نعم سأرسل مراسيلي وألفظها كل حين لك ،لأني أدرك أنك كما الحقيقة البيضاء التي تناديني وتنتظرني في محطات الغثيان ، لأصرخ لها ، لأنقلب لأجلها على كل خفايا السكوت ومواطن الحرمان .

سأكتب لكما لا ليتفرج العالم علي ويصفق لي كما يفعل مع أولئك المرتزقة المتصعلكين على الورق الذين يكتبون ليثيروا زوبعة في فنجان، وليس احتجاجاً على كرامة قد تداس أو ثورة على طغيان .

يمتهنون التملق يسكنون مقاهي الأزمان، يتغطون بالخوف رداء، ويلبسون وجوه الكتمان .

سأستمر على مواثيقي وطقوسي معك مع بياض الورق

فأبري جنوني وارتحل معكما إلى ماورائيات الألم إلى حدود الفرح، وأجنس قلبي بالحب لأحصل على إقامة دائمة فيه وأحشد فيه شعوباً من عشاق وأجناس وألوان.

سأكتب لك من النهايات إلى البدايات لأصحو من غفوة دائمة تقبع خلفها أيامي ليصبح كل شيء يشبهني ويشبه نفسه ، بصمته بكلامه ،الموت والحياة ومساحات العطر ورائحة العنفوان.

فاحمي بقلمي روحي من صفعات القمع، وأنصت جيدا إلى صوت الأشياء فيَ واكتشف حينها أني مازلت بقربكما إنسان.

الجلاء ثمرة الدماء في ضمير الشعراء

• أحمد سعيد هواش

د. عبد السلام العجيلي

الأديب المهجري السوري نظير زيتون

الجلاء.. ما أجملها من كلمة مفعمة بالمعاني السامية، مضمخة بأريج أزهار نيسان وبرائحة دماء الشجعان الزكية الذين سقطوا صرعى في سبيل وطنهم الحبيب، سورية، من الشمال إلى الجنوب، ومن الساحل إلى البادية، وكان هدفهم الوحيد العمل على استقلال وطنهم، وطرد المستعمر الفرنسي منه، وكان لهم ما أرادوا لصدق عزيمتهم ونواياهم، وكان الجلاء في السادس عشر من شهر نيسان لعام ١٩٤٦م.

والشعر العربي كان ولا يزال المعبر عن خلجات النفس البشرية، ولاسيما في موضوع الحماسة الجهادية والوطنية...

وفي القطر العربي السوري يظهر لنا الدكتور عبد السلام العجيلي، الذي عرف قاصاً وروائياً مجلياً على مستوى الوطن العربي، وقد أبدع ديوان شعر وحيد وهو بعنوان: «الليالي والنجوم» وقد احتوى على قصيدة بعنوان: «ذكرى الجلاء» وهذه القصيدة نظمها الدكتور العجيلي في مساء السادس عشر من نيسان عام ١٩٤٨م، حيث كان عضواً في مجلس النواب السوري ومتطوعاً في فوج اليرموك الثاني من جيش الإنقاذ، وفي هذه القصيدة خاطب الدكتور العجيلي أولئك الشهداء الذين كانت دماؤهم وهج الجلاء فقال:

يا راقدين وهذا العيد عيدهم
تحت الجنادل، رقت بيننا الحجبُ
إنا نراكم طيوفاً في مواكبنا
إذا تجوز، وفي الراياتِ إذ تجبُ
ويصدح البوقُ في الميدان منطلقا
يدعو الحماة فنرجوكم ونرتقبُ

لقد كانت دماء هؤلاء الشهداء نسغ الجلاء للمستعمر الفرنسي عن أرض سورية الحبيبة في ١٦ نيسان ١٩٤٦م، وقد أودع الدكتور عبد السلام العجلي قصيدته "ذكرى الجلاء" مجموعته الشعرية الوحيدة وأهداها إلى الشهيد الملازم الأول محمد جديد وأرواح شهداء فوج اليرموك الثاني من قوى جيش إنقاذ فلسطين، حيث دارت معارك الشرف، وكانت مقدمة لمعارك الجلاء في القطر العربي السوري، فقال مخاطباً يوم الجلاء:

للمجد يومك ما في الدار مغتصب
البدرُ يضحك في دنياك والشهبُ
تلك الليالي التي راعتك ظلمتها
أودى بحالكها من نارنا لهبُ
الغاصبون وحد السيف حجتهم
ما كفهم جدل عنا ولا خطبُ
لما حملنا منايانا نقدمها
على الأكف طردناهم، وما انسحبوا
فاليوم تخفق نشوى في مطالعها
راياتنا الغرُ في ألوانها العجب

رحم الله الدكتور العجيلي في ذكرى رحيله العاشر وذكرى عيد الجلاء.

ومن بيروت عاصمة لبنان الشقيق أنشد الشاعر محمد علي الحوماني "أنشودة الكون" مرفوعة إلى الإخلاص المتجلي في الشباب السوري لذكرى يوم الجلاء، فقال:

يومك الضاحك في نيسان أنسى
كلَّ يومٍ حتى فرنسا
قبست منه الليالي قمراً
وبدا في مطلع الأيام شمساً
يا دمشق: ابتهجي في عرس مَنْ
هلل الكون له جناً وأنساً
دمك الزاكي الذي أهرقته
أينع المجد به واخضلَّ غرسا

نعم فلتفرح دمشق بغرسها الذي يتجدد مع الربيع الذي أنبت ورداً ورياحين بدماء الشهداء.

وللأديب المهجري السوري نظير زيتون قصيدة مطولة، جادت بها قريحته عام ١٩٦٢م في ذكرى عيد جلاء الفرنسيين عن أرض الوطن أثناء وجوده في سورية، إذ قال فيها مخاطباً إياها:

فجري من دمك القاني عيوناً وأخضبي الأرضين ساحاً بعد ساح
وانثري الأكباد قرباناً على الدرب، وفي الدرب، نضال ونواحِ
إن للحرية الزهراء مهراً من دموع ودماء وتفاح

نعم كانت الحرية وكان العيد بسبب تضحية وتقديم المهر الغالي من الدموع والدماء.

ونقرأ للشاعر عدنان مردم بك قصيدة بعنوان "ذكرى يوسف العظمة" أودعها ديوانه.

"نجوى" واصفاً فيها بطولة الشهيد "يوسف العظمة" بطل الجلاء الذي قاتل قتال الأبطال الشجعان: قبل استشهاده:

ما زلت تدفع كيد كل منتمر
حتى تثلم سيفك البتار
فأقمت صدرك حائطاً دون الحمى
لما تقوَّض من حِماك جدار
قصدتْكَ من رسل المنون شظيةٌ
زاغت لهول مُصابها الأبصار
فهويت كالنسر المهيض جناحه
أو كالفريسة غالها جزار

إن مصرع الشهيد البطل "يوسف العظمة" يمثل قمة البطولة والتضحية في سبيل الوطن ويجب أن نبرزها لشبابنا ليقتدوا به، فقال الشاعر عدنان مردم بك:

قل للشباب لكم (بيوسف) قدوةٌ / ومثال مجد يحتذى ومنارُ
تحية لشهداء الأمة العربية الذين كتبوا بدمائهم الزكية أسطر الجلاء.

رحيل الأديب عز الدين سطاس

رئيس اتحاد الكتاب العرب أ.د. نضال الصالح وأعضاء المكتب التنفيذي وأعضاء الاتحاد ينعون بمزيد من الأسى اللوعة عضو اتحاد الكتاب العرب الزميل الأديب الأستاذ «عز الدين سطاس»

ويتقدمون بأحر التعازي من أسرته وزملائه وأصدقائه، راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

ولد الراحل عز الدين سطاس في قرية العدنانية / الصرمان / السلمية بالجولان عام ١٩٤٣.

حمل الإجازة في الجغرافية - جامعة دمشق. عمل في التعليم ما بين عامي ١٩٦٣ و١٩٧٣، وكان ضابطاً خلال المدة / ١٩٧٤ - ٢٠٠١ / حيث أحيل على التقاعد برتبة عقيد.

أدار مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية بدمشق خلال المدة / ١٩٨٦ - ٢٠٠٥ /.

شُغف بالرياضة حيث نال بطولة الجمهورية في رمي الرمح في صيف عام / ١٩٦١ /، واحتفظ بها لسنوات عديدة، وكان عضواً في منتخبي القنيطرة لكرة القدم، ومدارس دمشق لكرة اليد.

- عضو اتحاد الكتاب العرب في سورية - جمعية البحوث.
- أمين سر فرع اتحاد الكتاب العرب في القنيطرة منذ ٢٠٠٤ ولأكثر من دورة.
- عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بدمشق.
- شغل عضوية الهيئات التالية:
- هيئة باحثي مركز الشرق للدراسات بدمشق.
- هيئة تحرير فصلية الجولان الثقافي.
- مجلس إدارة جريدة الجولان.
- رئيس هيئة تحرير مجلة آلبروز، خلال المدة نيسان / ٢٠٠٦ / - نيسان / ٢٠١٠ /.
- باحث في شؤون الصراع العربي - الإسرائيلي، وقضية الشركس.
- يترجم عن اللغة الشركسية، ويهتم بهذه اللغة، وكذلك التراث الشركسي.
- يكتب القصة والخواطر الأدبية باللغتين العربية والشركسية.
- صدر له:

١ - الجولان - دراسة مختصرة ترجم إلى الفرنسية.

٢ - شمال القفقاس، تنوع في إطار الوحدة - دراسة.

٣ - إسرائيل: سياسياً، اقتصادياً، اجتماعياً، بالاشتراك مع السيد زياد العواك - دراسة.

٤ - عائشة - شارلوتا، مسرحية مترجمة عن اللغة الشركسية.

٥ - من الأدب الشركسي، حكايات شركسية قديمة، ترجمة عن اللغة الشركسية.

٦ - الشركس حضارة ومأساة - دراسة وترجمة عن اللغة الشركسية.

٧ - العدنانية، سيرة خالدة - دراسة.

٨ - أزهار الحرية، مجموعة خواطر أدبية.

٩ - المسيح في الجولان، بالاشتراك مع السيد تيسير خلف - دراسة.

١٠ - المرجع في الجولان، بالاشتراك مع مجموعة من الباحثين - دراسة. ترجم إلى الإنكليزية.

١١ - أعد خريطة للقسم الشمالي الغربي من القفقاس، أعاد فيها الأسماء الشركسية للعديد من المعالم والمواقع الطبيعية والعمرانية في تلك المنطقة.

١٢ - له مخطوط / جغرافية سورية وأهميتها الجيوبوليتيكية / - دراسة.

- نشر العديد من البحوث والدراسات والتقارير التحليلية، والأعمال الأدبية، في العديد من المجلات والصحف العربية منها:

الحياة - السفير - الخليج - الأسبوع الأدبي - الآداب الأجنبية - الموقف الأدبي - الفكر السياسي - شؤون عربية - الأرض - الجولان الثقافي.

- كتب الشعر والقصة القصيرة باللغتين العربية والشركسية.
- حاضر في العديد من الندوات الفكرية، والسياسية داخل سورية وخارجها.
- أعد العديد من المواد لإذاعة دمشق، خاصة بالصراع العربي - الصهيوني، بث بعضها باللغتين الروسية والعبرية.
- شارك في ندوات تلفزيونية في التلفزيون العربي السوري، وفضائيات أخرى.

جينكيز آيتماتوف.. والحصان المحتضر على الدرب الطويل

• سامر أنور الشمالي

تُعد رواية (وداعا يا غولساري) علامة فارقة في مسيرة (جينكيز آيتماتوف ١٩٢٨- ٢٠٠٨) الإبداعية، ففي هذه الرواية انتقل من بساطة المرحلة الرومانسية وعفويتها إلى قسوة الواقعيّة وتعقيداتها، إضافة إلى أن الحيوان قام بدور أساسي لا يمكن الاستغناء عنه، بل صار محور الحدث الذي تدور في فلكه الشخصيات جميعها. وتطور هذا الاعتناء بتلك الكائنات التي تشارك الإنسان الحياة على وجه الأرض برز في رواياته اللاحقة، لعل أهمها: (ويطول اليوم أكثر من قرن- عندما تتداعى الجبال- النطع).

أما (وداعا يا غولساري) فهي الرواية الأكثر بساطة في حياكة الحدث، وبناء الحكاية، واختيار الشخصيات، وأيضا في نسج أسلوب ممتع في غاية السلاسة- ولعل هذا يعود إلى أنها التجربة الأولى في هذا النهج الذي اختاره المؤلف لنفسه- ولكنها البساطة المبدعة الثرية، وليست البساطة الفقيرة المجانية، فثمة حمولة فكرية مضمنة في الطبقة العميقة للسرد، إذ يستطيع القارئ التواصل مع هذه الرواية المؤثرة في النفس بعفويتها دون إشغال نفسه بالضرورة في اكتشاف المرامي البعيدة، ورغم ذلك يصله شيء من المعنى المستور، ويتمتع بجمالياتها المترفة. وهذه إحدى ميزات الروائي البارع الذي يكتب سردا قابلا للقراءة من زوايا عدة.

وهذه الرواية ليست بالرواية السهلة التناول، بل هي الرواية التي يمكن قراءتها بعدة مستويات، والكتابة عنها متاحة دائماً لأنها مفتوحة على أكثر من تأويل.

يفضل (آيتماتوف) الدخول في صلب موضوعاته منذ الصفحات الأولى لرواياته، لهذا نجد في السطور الأولى من (وداعا يا غولساري) وصفا مكثفا لبطلي الرواية: الحيوان والإنسان، وهما يترافقان للمرة الأخيرة، فالحصان يحتضر ببطء، و(تاناباي باكاسوف) طعن في السن، وأيضا الشمس مالت للمغيب تودع الجبال والتلال والوديان والسهوب، فالطبيعة تشارك الكائنات الحية في أحوالها، كما تنعكس أحوال الطبيعة على تلك الكائنات الحية: (كانت عربة قديمة تقطع الطريق، يجرها حصان هرم، وقد استقلها رجل هرم أيضا وكان الحصان الرهوان الأصفر غولساري حصانا مسنا، مسنا جدا) ص١٠٩. ولكن ليست كل أحداث الرواية على الطريق الذي بدأ الظلام يخيم عليه وتتسلل إليه برودة الشتاء، فثمة ذكريات مستعادة، وثمة أحداث ماضية تروى بطريقة الخطف خلفا، وكثيرا ما يبدأ (آيتماتوف) رواياته بنقطة فارقة في مسيرة الحدث، ثم يعود إلى رواية القصة من بدايتها.

و(غولساري) الذي يعني اسمه الزهرة الصفراء، وزهرة الحب، ليس بالحصان العادي، كذلك كل الحيوانات التي يفرد لها (آيتماتوف) مساحة كبيرة في رواياته، فهو منذ كان مهرا صغيرا في القطيع لفت الأنظار إليه بلونه الذهبي، وتناسق أعضائه ورشاقته، وسرعته في الجري، حتى صار مضرب الأمثال للكبار، والحصان الذي يغني له الأطفال ويقلدونه في ألعابهم، فهو الحصان الذي سحر البشر والحيوانات بخصاله: (كان ينطلق، جاذبا وراءه أقرانه، ينطلق بينهم مثل مذنب أصفر. وكانت تدفعه، دون كلل، قوة لا تنضب للجري نحو الجبال، ونحو منحدراتها وسفوحها، وعلى طول الشاطئ الحجري، وفي الدروب بالغة الضيق والحدة، وفي الوديان والوهاد. وحتى في هدأة الليل البهيم حين كان يغفو تحت النجوم، كان يرى في المنام كيف كانت الأرض تفر من تحته، وكيف كانت الريح تصفر في عفرته وأذنيه، وكيف كانت تلغط حوافره لكأنها تقرع أجراسا) ص١٤٧-١٤٨. ونجد أن الصورة التي رسمها الكاتب لم تصف لنا الحصان بمعزل عما حوله، بل جعلته جزءاً من الطبيعة التي يتحرك فيها، وشبيها بالإنسان أيضا، فهو يحلم بالأشياء التي يحبها، ثم سنراه يبكي من شدة التأثر، ويعشق إناث جنسه، ويضيق بالقيود، ويتوق للحرية: (ها هي تصهل في مكان ما قريب تماما. أجل، كانت هذه هي بعينها، فقد كان يعرف صوتها تماما. وأراد أن يجيبها، ولكنه خاف أن يفغر فاه المجهد، الورم. فقد كان هذا مؤلما على نحو رهيب. وأخيرا وجدته هي نفسها. فعدت إليه بخطا ناشطة سريعة، متألقة تحت ضوء القمر بنجمتها البيضاء في غرتها. وكان ذيلها وأطرافها مبللة رطبة. لقد أتته عبر النهر، حاملة رائحة الماء الباردة. فدفعته بخطمها، وجعلت تتشمم، ملتصقة به بشفاه ملمومة، وفيئة. ونخرت بلطف، وهي تدعوه للذهاب معا. ولكنه لم يستطع التحرك من مكانه. فوضعت بعدئذ، رأسها على رقبته وجعلت تهرش عفرته بأسنانها. وكان عليه هو بدوره أن يجيبها بالمثل فينيخ رأسه على رقبتها ليحك عفرتها أيضا. بيد أنه لم يستطع مبادلتها هذه المداعبة. إذ لم يكن في حال تؤهله للحركة. كان يشتهي شرب الماء. أواه، لو كانت تستطيع سقيه الماء! وحيت قفلت راجعة نظر إليها في أثرها إلى أن ذاب ظلها في العتمة المسائية وراء النهر. أتت ورجعت إذن. واحسرتاه، ففاضت الدموع من عينيه. جرت دموعه قطرات كبيرة على خطمه وتساقطت عند قدميه دونما ضجة. لقد بكى الحصان لأول مرة في حياته) ص١٥٦-١٥٧.

آيتماتوف

ويحضر الزمن بتأثيراته الظاهرة بقوة في هذه الرواية، فهو الذي غير في هيئة بطليه واستجابتهما للحياة، وهذا ما انعكس بدوره على الأحداث، فلم يعد (تاناباي) يمتطي الحصان الأشقر ويخوض السباقات متفاخرا تحت أنظار الجميع، كذلك لم يعد للحصان القدرة على الجري في السهوب والمباهاة بلونه. لقد انقضت سريعا الأيام الجميلة وفقد كل من الإنسان والحيوان ما كان يفتخر به ويعتز: (كان غولساري حصانا رهوانا منذ ولادته. وقد وقع له في حياته، جراء رهوه الذائع الصيت كثير من أيام البؤس وأيام النعيم. وفي سابق الأيام لم يخطر ببال أحد ربطه بأعنة عربة النقل، وإلا لكان ذلك كفرا وتجديفا) ص١١٤. ولكن مرور الزمن فرض معادلاته، وربط الحصان الذي فقد جماله وقوته إلى العربة، وعندما رآه فارسه (تاناباي) في حال مزرية كغيره من الخيول البائسة صعقه المنظر، فأشاح بوجهه عنه، فهو الوحيد الذي لم ينس أمجاد الحصان الذي عاش معه الأيام السعيدة التي ولت دون عودة. ولكن الزمن كفيل بإجبار الجميع على القبول بالأمر الواقع، فـ(تاناباي) هرم أيضا ولم يعد الفارس الذي يمتطي صهوات الخيول، ويحتاج إلى العربة لينتقل من مكان لآخر في المراعي. وكان من المتيسر عودة الحصان إليه مرة أخرى، فلم يعد يتنافس أحد على اقتنائه.

وأصر العجوز الوفي على البقاء في الطريق المقفر الذي حاصرته ظلمة الليل إلى جانب الحصان الذي هدته مشقة الطريق ولم يعد قادراً على مواصلة السير، ورفض العودة بمفرده مخلفا حصانه لمصير مجهول، وأشعل النار قربه، وغطاه بفروته، وجلس جانبه طوال تلك الليلة الباردة يعتني به ويستعيد ذكرياته بحواره. وكان أحلاها التي جمعته مع الحصان الذي أخذ يعاني سكرات الموت بجواره:

(كانت أضلاعه تصعد وتهبط أعلى وأسفل على نحو متوتر، رافعة جنبين هزيلين، رخوين. وقد كان لفترة ما أصفر اللون فاتحا، ذهبيا، أما الآن فهو بني من العرق والوسخ. وكانت تيارات العرق الرمادية تهبط في أشرطة صغيرة من العصعص البارز إلى البطن، على القوائم والحوافر.

لكأني لم أستحثك. بدا تاناباي يتذمر ويدمدم. وخفف من توثيق حزام السرج، وحل حبل الرقبية، وفك اللجام. وكان اللجام قد تندى بلعاب حار لزج. فمسح تاناباي بردن معطفه خطم الحصان ورقبته. وانقذف بعدئذ إلى العربة يجمع منها بقايا العلف، والتقط ما ملأ نصف حضنه، ورماه عند قدمي الحصان. بيد أن هذا لم يلق بالا إلى العلف، وكانت تأخذ بمجامعه رعدة خفيفة.

وحمل تاناباي بيده إلى الحصان شيئا من العلف.

-هاك، خذ، كل، ولكن ماذا دهاك!

كانت شفتا الحصان قد تحركتا بعض الشيء ولكنهما، على أي حال، لم تستطيعا التهام العلف. وتطلع تاناباي إليه مباشرة في عينيه واغتم في الحال. ففي عيني الحصان الغائرتين عميقا، نصف المفتوحتين، ذات الجفون المتغضنة المنسولة، لم ير هو شيئا. لقد انطفأتا وكانتا فارغتين كشباكي بيت مهجور) ص١١٨/ ١١٩.

ونجد دقة الوصف المعبر عن الحالة الداخلية للأبطال، وهذا من خصائص أسلوب (آيتماتوف) في رواياته كافة، فهو الكاتب الذي يرسم بحساسية منقطعة النظير لوحة ساحرة من الكلمات المتداولة، وينقل بسطوره صوراً اختزلها في مخيلته منذ الطفولة ثم سكبها على الورق ليدهشنا. لهذا قد ينتابنا شعور غريب ونحن نقرأ تلك الروايات، كأن نحس بملمس وبر الحيوان على أطراف أصابعنا، وبرائحة العشب بدل رائحة الصفحات والحبر.

وتنتهي الرواية بموت الحصان الهزيل الذي بدأت الرواية معه وهو المهر العفي الذي ركض مزهوا بقوته وجماله، لقد عاش هذا الحصان المختلف في قطيع الخيول حياة ضاجة بالفرح، ومثقلة بالحزن أيضا، كما عاش صاحبه إلى جانبه فارسا بارعا، وعاشقا لطيفا، وعاملا نشيطا: (كان الرهوان غولساري راقدا دون حراك عند الشعلة، وقد ألقى برأسه إلى الأرض. لقد فارقته الحياة ببطء. شخر وغرغر حلقه، وجحظت عيناه وانطفأتا، مسمرتين على اللهب لا تطرفان، وتخشبت أقدامه الطويلة، كالعصى) ص٤٤٦.

ثم ظهر الفجر من خلف الجبال العالية، واستفاقت الكائنات الحياة على الأرض لتتابع مسيرة حياتها، ورأى (تاناباي) وهو في طريق العودة إلى قريته الجبلية (ساريغو سكايا) إوزة شهباء تحاول الإسراع في الطيران لتلحق بسربها، فخاطبها وإن لم تفقه كلامه، فالبشر يعرفون عما يتحدثون: (-طيري! طيري! -همس تاناباي- الحقي بذويك(•)، طالما لم يَهُو جناحاك من التعب. ثم تنهد وقال: وداعاً، يا غولساري!) ص٤٦٢. وهذه الجملة الأخيرة هي عنوان الرواية التي احتفت بالحيوان، بل بالحياة، منذ العتبة السردية الأولى حتى السطر الأخير.

ورغم الدور الخاطف الذي لعبه حيوان آخر في هذه الرواية (الإوزة الشهباء) فكان لحضورها مع شروق الشمس أهمية لا يمكن إغفالها، فالحياة مستمرة على الأرض رغم أن الموت نهاية كل المخلوقات على الأرض، فثمة كائنات حية لم تأخذ نصيبها من الحياة بعد، وبذلك يفتح الكاتب البارع باب الأمل والفرح الذي لم يوصده في هذه الرواية رغم خاتمتها الحزينة، ورغم النهايات المؤلمة الغالبة على روايات الكاتب. ففي رواية (عندما تتداعى الجبال) يموت (أرسين) والنمر الأرقط، بطلا الرواية. ولكن ثمة جنين منتظر بعد مقتل والده، وهو المعادل للإوزة الشهباء.

هذه الرواية التي لا تنسى لم تقدم قصة حصان وراع فحسب، بل قدمت قصة مؤثرة لوجه من وُجوه الحياة على هذه الأرض الرحبة، دون إغفال الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما كل روايات (جينكيز آيتماتوف) التي تتناول موضوعا عاديا، مألوفا، ثم تعالجه، عندها نكتشف أن الكاتب البارع بطريقته الخاصة اختزل الحياة على هذا الكوكب الأزرق بكل ما فيه، وهذه ميزة الكاتب العبقري الذي ستظل رواياته علامة فارقة في تاريخ الرواية العالمية.

• اللفظة عامية

مبروك

دخل الفنان نضال فهيم عيسى المشرف الفني (للأسبوع الأدبي) أخيراً القفص الذهبي في الأسبوع الماضي، بعد عزوف طويل عن الزواج.

رئيس الاتحاد، وأعضاء المكتب التنفيذي، وأسرة الأسبوع الأدبي يتقدمون بوافر التبريكات والأماني الطيبة للفنان نضال عيسى، ويرجون له ولعروسته كل السعادة والهناء، وبالرفاء والبنين.

عودة

• ماهر قطريب

الأشرعة المخنوقة
أكثر قسوةً من البحر
وأكثر حزناً من يتيم ..
كلما ناح قمر ،،
تومئ بالانطفاء ..
صمتها أعتى
أكثر صخباً
وأبلغ من أنين الرمال ..
حين تصمت النوارس ،،
تمد لي حزنها حدّ العناق ..
هذا الخريف ،،
سأصحو باكراً
قبل الموج
وقبل أي جناح
لأنزع عن خواصرها
وشم البكاء ..
وأعيد لثناياها
البياض ..
وسأترك الأمس
مبتور الساق
في عهدة الصخور البليدة ..
لأوصد نوافذ الغد قليلاً
وأعكر مزاج الجهات قليلاً
هي المجاذيف
وحدها ياوطني
تعرف لحن الانتماء
وتحفظ ملامح حزنك عن ظهر قلب ..
هذا الرحيل ،،
سأعانقها طويلاً طويلاً
بأنفاس زهرة وأغنية
وقبل أن
يصحو ناب
الريح ..!!

لعبةٌ قاسية

• صفوان أحمد حاج محمد

وحيداً، وقبل أن يكون مؤهلاً لذلك بكثير من الزمن، يقف عند حافة إيقاع الحياةَ الرهيب الذي لا يعرف السكون أو الانتظار ولو قليلاً، محاولاً فهم أسباب استمرار وجوده وتعلُّمها، يتأمّل بمفرده أخفض مدى للرؤية في المدينة دون أية عوامل تقوِّيه وتمدُّه بطاقة ما لتعينه على التقدُّم والنمو.

عند نقطة ما لا أمل منظور آني، أو شيئ يُطمئن ، كانت عيناه تُكافحان في خوفهما الذي بدأ يكبر معه بعد اللحظات الأولى التي وقف فيها أمام حقيقة أن أمّهُ رحلت.. رغم أنها كانت ساكنة أمام نظراته الحائرة في جمود لا يُزحزحهُ كل هذا الصخب العنيف، ولا يُذيبهُ الوهج المترافق مع كل هذه الأبخرة والدخان الذي يملأ الأجواء بكثافة .

بقي إلى جانبها لساعة، لكنه اضطر للهرب من الحقيقة إلى حقيقة أقوى فرضت حضورها .

ذلك النوع من الحقائق التي لا تختلف عن الأوهام إلا بكمية الخوف الذي تأتي به أو بشدّة الخفقان الذي يأخذ من يُكابدهُ نحو مكان آخر ، أو حسٍّ آخر .

ركضَ بكل ما امتلكت أرجله الصغيرة من قوة ليبتعد عن جثة أمه الحنون مُتَخلّياً عن أكثر مخلوق أحب البقاء معه خلال الوقت القصير الذي اختبره من حياته التي كانت في بداياتها .. تاركاً ذلك الجسد الذي احتضنهُ، مُلقى في عراء الشارع بعد أن اقترب منه مجموعة من الصغار ليستطلعوا المنظر، فاختار الهروب بداعي الحفاظ على حياته بعد أن غادرها الجزء الأجمل، في ذهول لا ينفع ..هرب وهو لا يجرُؤ على النظر خلفه ولو للحظة واحدة كي يُوفر كل ما لديه من طاقة لأقدامه التي تُسرعُ إلى المكان الأكثر بُعداً عن هذا المشهد المفعم برائحة الخطر .

استمر في لهاثه وهروبه إلى أقصى ما يستطيع إلى أن فقد كل أثر للعطر الذي كان بمثابة معنى لكل الحياة، في كيان المخلوق الأقرب له، ثم وقف يستجمع أنفاسه القصيرة المتقطّعة محتمياً بإطار مطاطي قاتم اللون يبعث حرارةً ورائحةً احتراق، وظلاً ما، لسيارة متوقفة على جانب الطريق.

وفّرت له المسافة التي بين الإطار والرصيف مخبأً لا بأس به ولو مؤقّتاً يستطيع منه أن يرى دون أن يُرى .

هدأت أنفاسه المتعبة شيئاً فشيئاً وأخذ الهواء البارد يُداعب فراءهُ الناعم الذي يُشبه فراء أمه التي ماتت للتو بسبب قسوة طفل لم يُتقن أبويه تعليمهُ بأن لحياة كل المخلوقات حُرمة مثل حياته، فلم يكترث لها حين حمل ذلك الحجر الصلب وَضربها به للتسلية فقط .

في قلق بدأ يتبدد أخذ ينظر حوله مستكشفاً أبعاد المكان الذي أوصله إليه خوفه ، محاولاً سبر مكوّناته .كان هناك عدد كبير من الأقدام لأناس يقفون حول إنسان آخر يقوم بعمل ما ..نظر أكثر ..إنه يقدّم لمن حوله شيئاً ما يلتقمونه على الفور في شهوة واضحة .. آه إنهم يأكلون ما يأخذونه منه بنَهَم ..إنه يعطيهم طعاماً ويُعطونه أشياء بالمقابل تشبه ما كان يُلامس أنفه حين كان يُقلّدُ أمه وهي تشمُّ القمامة بحثا عن طعام لها ، نعم إنها تشبه تلك الأوراق الممزقة الملقاة على الأرض، إنهم يُخرجونها من جيوبهم ويعطونها لذلك الإنسان فيعطيهم أشياء يأكلونها !!

تُرى هل جمعوها من القمامة ؟!

اقترب بحذر شديد محاولاً إيجاد مكان تسقط إليه قطعة طعام صغيرة من يد ذلك الإنسان الذي يبيع الوجبات ، فيسدّ بها جوعه وصراخ البقاء في داخله الذي عليه أن يُطيعه كي يعيش .

نفحة صوفية

•أمل سلمان

في شرفتي النائية الظلالْ
حلَّ القمرْ
سراجي ملحٌ وزيتْ
والقوافي تحتضرْ
وابنة من ألف خريفْ
حسيرةٌ مدَّ النظرْ
حلَّ نجمٌ ثم تاهَ
في ركابِ الراحلينْ
خلقَ الوعدُ الفراغْ
في المآقي وانكسر
إنَّ في موتي حياةْ
هكذا شاء القدر
والحروفُ النيراتْ
فاقتْ في الحسنِ البشرْ
أنا في الذروة هذا الملاكْ
فقلْ للكونِ ينتشرْ
صه--
فكلُ سؤالِ
سوفَ يدميكَ حجرْ

الأسبوع الأدبي

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطر-أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي-للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000ل.س أو175$-خارج الوطن العربي-للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة. www.awu.sy
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني aru@tarassul.sy
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

الوطن.. والجَلاء.. في ذاكرة الشّعراء..

ديوان (نفَحَات من الجَنوب) للشاعر الشّيخ حسين أبو فخر (نموذجاً)

•فرحان الخطيب

عندما نتهيأُ للاحتفال والاحتفاء بعيد الجلاء، تتدفق صور البطولة والرجولة من ذاكرة الأدباء والشعراء لتصدح من حناجرهم إن كان إلقاء من على المنابر في المهرجانات والأمسيات، أو حبرا يندلق على صفحات بيضاء يجعلها مطرزة بأخبار معارك الشرف والعزة والكرامة التي سطرها أهلنا الكماة الصناديد ضد الغزاة المستعمرين .

الشعرَاء لم يتوانوا في مواكبة أخبار النصر والانتصارات، فكان صوتهم الجريء ينقل الصورة الناصعة لما بذل الأهل من دماء زكيه في سبيل الذود عن حياض الوطن، فخاضوها حروبا طاحنة، سجلوا فيها أسمى وأروع آيات الانتصار، وأزهى صور النصر والفخار، لتبقى أرضنا عزيزة بأهلها، ريانة بدم شهدائها، تصدر إلى الملأ ذاكرة وقادة لأبنائها في تصديهم لأعتى قوى الشرّ والعدوان، منذ الأزل وحتى الآن .

وليوم الجلاء في ذاكرة السوريين رونق وبهاء، فهو مكلل بهامات المجد، ومتلفع بعباءات الكرامة، فهو يوم يدخل البهجة إلى النفس، ويحملنا على رفع رؤوسنا عاليا.. عاليا كي نرى بهاء أرضنا واخضرارها من على شرفات الغيم، ومناكب الجبال العالية، من هناك نرى علم سوريتنا خفاقا أبيا مرفرفا ماتعا في نشوة الإباء والانتصار، من هناك نرى السابع عشر من نيسان يحتفي بأهازيج الثوّار وهم على صهوات خيولهم، وبيارق الجلال والمهابة تشق عباب النسيم الفوّاح بدم الشهداء، تلقي السلام على صهيل بردى، فيرد التحية بسيره المهيب واللائق بوقار المناسبة، الكبرياء، في دمشق الفيحاء .

انها دمشق التي جبلت ترابها في ميسلون بدماء الشهيد يوسف العظمة الذي أبى دخول الجيوش الفرنسية المستعمرة أراضي سوريا الطاهرة، دون أن يكون الشعب السوري في مواجهته، وبأي سلاح، وأهمه سلاح الإيمان .

في هذه الذكرى، ذكرى الجلاء، تقريت صورها، أبطالها، معاركها، شهداءها، فوجدت ضالتي في ديوان شعر صادر للتو هذا العام ٢٠١٦عن دار الريّان يحمل عنوان (نَفَحَاتٌ منَ الجَنُوبْ) للشاعر الشيخ حسين أبو فخر، المولود ١٩١٨ والمتوفى عام ٢٠٠٣، وحين قرأت الديوان الذي أختار قصائده، وقدم له ولده الشيخ ياسر أبو فخر، طابت لي الكتابة لأن شيخنا الشاعر عاش كل فترة الاستعمار الفرنسي لسوريا، فوعى احداثها، ونهل من معينها، وعايش قائد ثورتها الكبرى المغفور له سلطان باشا الأطرش.

في هذا الجو المشبع بالوطنية والجهاد، كتب الشاعر الشيخ قصائده، فكانت سجلاً ثرًا، وتاريخاً شعرياً منصفاً لهذه المرحلة الكفاحية الناصعة في تاريخنا الحديث.

يتحدث الشاعر عن الجلاء بقصيدة عنونها (فرحة الجلاء) يقول فيها :

عيدٌ يرتّلهُ فمُ العلياءِ
نَغَمًا يطنُ بمسمع الجوزاءِ
فاصدَحْ وغرِّد للجلاءِ فإنّهُ
شرفُ الحمَى، ومحجّةُ العظماءِ

فالجلاء عند الشاعر، شَرف الحمى، ومحجة العظماء، ولا يصل إلى هذا اليوم الأغر إلاّ الرجال الرجال، الذين صاغوه قلادة وعلّقوها زاهية على صدر الزمن، ولكن من هم هؤلاء الرجال ؟ يجيبنا الشاعر :

أكرمْ (بسلطان) الجهاد مهنّدا
خاضَ المنونَ بعزمةٍ ومَضَاءِ

ورجالهُ الشّوسُ الغضابُ يعضُّهمْ
ألم الطوى ولوافحُ الرَّمضاءِ
حسب المروءة في (هنانو) نَجدة
هزّت لوافحهاَ بني الشهباءِ
وتواثبوا والساحلُ الدّاميَ على
غمرات (صالح)عابسِ الأجواءِ
في (ميسلون) المجدُ حلّ ركابَهُ
متنقلا بمروجه الخضراءِ

كان الشاعر عندما ينظّم قصائده، يرى سوريا كلها بعين وطنية ثاقبة، فيمتد نظره شاخصا إلى حمص، دوحة الميماس وهي تدفع بأبنائها الميامين إلى ساحات الوغى، في خضم الثورة السورية الكبرى بعد النصر الذي أحرزه الثوّار في معركة (المزرعة) الشهيرة في جبل العرب، فيقول :

تزلزلتْ جَنبَاتُ الأرض حين مشتْ
حمرُ البيارق واستنشى الفدا مددا
الجوُّ أدرى إذَا اهتزّتْ جوانحنا
والأرضُ أخبر بالزحف الذي رعدا
تنفستْ غابةُ (الميماس) من رئة
عرباء تطحن في يحمومها الزّردَا

وشاعرنا يدرك ما معنى سطوة التاريخ على أسماع الشعوب، فيخاطب المستعمرين ويبعث الأمل في نفوس العرب من خلال استلهام البطولة والرجولة من صفحات تاريخنا المضيء، يقول :

إنّا وهبْنا للجهاد دماءنا
فاسألْ تجبْكَ معارك وبطاحُ
فدمامل (اليرموك) فجّر قيحها
ابن (الوليد) وخاضها (الجرّاحُ)
وعلى ثرى(حطين) بادتْ حملة
فتنازعتها أنصلٌ ورماحُ
وإذا ذكرنا (ميسلونَ) تراقصتْ
في (اللاذقية) أنجدٌ وصفاحُ

لقد توزعت الثورات السورية في كل أنحاء البلاد، فأقضّوا مضاجع العدو الفرنسي، ونكلوا به، فلم يذق طعم الهناء ولو ليوم واحد، سوريا كلها اشتعلت نارا تحت

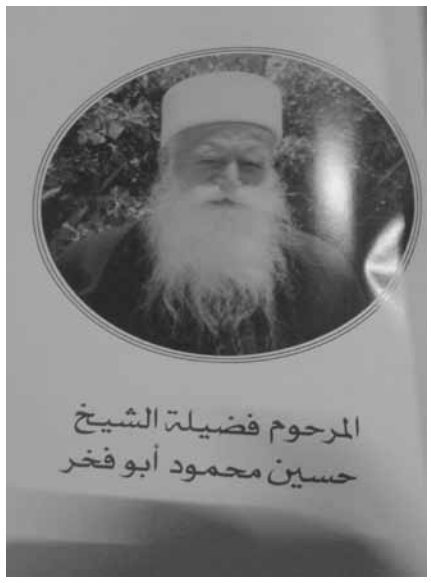

أقدامه، واختار شعبها قيادات ثوراته من أبنائه البررة، فخاضوا أشرس المعارك، وسطّروا صفحات التاريخ بجهادهم المطرّز بدماء الشهداء، وقد سمّى الشعب قادته برجالات العدّة الوطنية، يوسف العظمة، الشيخ صالح العلي، ابراهيم هنانو، حسن الخرّاط، فوزي القاوقجي، أحمد مريود، عقله القطامي، رمضان شلاش، عبد الرّحمن الشهبندر، محمد الأشمر، وسلطان باشا الأطرش، والشاعر يتغنى ببطولات هؤلاء الرّجال الذين حملوا مسؤولياتهم بشجاعة حينما نادهم الوطن، فلبوا النداء، وكانوا في مقدمة أرتال الفداء، يقول الشاعر الشيخ :

مازال (سلطان) ذكرى في شوامخها
فيض من النور، أو رعد من النارِ
نما الكفاح على أعقاب صارمه
حتى الجلاء انتشى من وقع بَتّارِ
كاللاذقيّة حين اربدّ (صالحها)
يسري بجمع عتيّ الموج صبّارِ
فما (هنانو) وفي الشهباء مرقدُهُ
الاّ طيوف موشّاةٌ بأفكارِ
ولا العبير سوى ما فاحَ من جَدَث
في (ميسلون) نديّ الطيب معطارِ
هم المصابيح تجلو كلّ داجية
وتطربُ الصبحَ من أنسام أسحَارِ

هؤلاء الرجال العظام هم في نَظر الشاعر مصابيح في داجية المستعمرين التي لا يجلوها إلا نضالهم وكفاحهم، فهم كالصوى في بيداء الاحتلال، يسترشد الشعب بهم للوصول إلى غايته السامية ألا وهو الجلاء .

والشاعر الشيخ حسين أبو فخر لم مندوحة إلا وذكر واقعة من مواقعهم، أو معركة من معاركهم إلا وصوّرها، يقول في وصف معركة (المزرعة) :

وعلى سفوح (المزرعة) لعب الفدى
فتكدّستْ جثث، ومات جماحُ
وحينما خاطب الشيخ الشاعر شاعر المهجر إلياس فرحات شاكرا له مواكبته الشعرية للثورة، أنبأهُ ما فعلت سيوف الثوار في نفس المعركة بالقائد الفرنسي (ميشو) :

حدوتَ بشعركَ الرّقراق قوماً
قد اعتنقوا الجهاد مروضينا
فإنّكَ لو رأيتَ النّقعَ يغلي
وكيف الحرُّ يقتحم المنونا
لقلتَ هنا البطولةُ من جناها
جنينا النّصرَ.. نصرَ المؤمنينا
غدا (ميشو)يجرُّ الذّلَ قسراً
ويَزْحَمُ جرْحُه الحقدَ الدّفينا

إنّ الثّورات التي اندلعت في سوريا بقيادة أبنائها الذين ذكرتْ، كان لابدٍّ من توحيدها، .وضم أجزائها إلى كل، حتى تكيل للفرنسيين ضربات موجعة، فكانت الثورة السورية الكبرى والتي أجمع السوريون على اختيار قائدها سلطان باشا الأطرش، فشملت كل تراب الوطن، وضمّت كلّ أبناء سوريا الشرفاء، وكان شعارها (الدّين لله .... والوطن للجميع) وقد خاطب قائدها شعبنا الأبي في منشوره الأول المعنون بـ (إلى السلاح ...إلى السلاح) خاطبهم (يا أحفاد العرب الأمجاد) لقد كانت الرؤية وطنية وقومية بآن، وحين لاقى وجه ربه رثاه الشاعر الشيخ حسين أبو فخر بأشد عبارات الحزن واستحضار مناقبه ومزاياه الكفاحية والجهادية، يقول:

إن غاب سلطان جسما لم يغبْ عَلَماً
يمشي على هدْيه الأحرار ما كانوا
قالوا: أتمدحُ؟ قلتُ الشمسُ ما طربتْ
للمدح يوما لكي يسمو لها شانُ
هاتوا جميعاً شموعَ الأرض نسرجها
فهل تضاء بغير الشمس بلدانُ
قد حاكَ من قسوة الصوّان موكبَهُ
فهل يُلاكُ بناب البغي صوّانُ
ما كان للزحف أنْ يمشي بلا رئة
لو لم يكن رئةَ الهيجاء سلطانُ

ولدمشق عاصمة البلاد، قلب العروبة النابض، الفيحاء والعصماء والخضراء، زهر الكلام وورد المعاني حين يستحضرها الشاعر الشيخ في ذكرى وفاة سلطان الثانية قائلا:

عطّرْ فؤادك من حمى العلياءِ
واخشع لذكرى سيّد العظماءِ
والثمْ ترابا ضمّ بين ضلوعهَ
قلبا يغيض تقىً على البطحاءِ
ومضى بقوم أوهنتْ صيحاتهمَ
كيدَ الجبابرَ خلف سطح الماءِ
نسجوا البطولةَ من صليل سيوفهم
حللا يطرّزها دمُ الشهداءِ
من طيبها نيسانُ رنّق زهرةً
نفشت بخدِّ الدّهر عيد جلاءِ
في قاسيون المجد حلّ ركابه
متنقلا بمروجه الخضراءِ
بردى يُهيّجنا هديرُ عبابَه
فيشدّنا طربا الى الفيحاءِ

(نفحات من الجنوب)للشاعر الشيخ حسين أبو فخر، ديوان طافح بالقيم الوطنية والقومية، مشبع برائحة دم أهلنا الذين صنعوا لنا تاجا يزين رؤوسنا ما عشنا، تاج الجلاء العظيم، ديوان يبعث في النفوس حب الوطن، ويثير في الوجدان أحاسيس ومشاعر البطولة والكبرياء، ويحفزنا لأن نحب ونعشق سوريتنا، كل سوريتنا موحدة واحدة أبد الدهر، ويدعونا لحمايتها والدفاع عنها وتحريرها من الإرهابيين والتكفيريين بهمة أبناء رجالات عدتنا الوطنية، رجال الجيش العربي السوري البطل، وانا لمنتصرون.

تعزية

فجعت الزميلة الأديبة سوزان إبراهيم بوفاة والدتها في الأسبوع الماضي بعد معاناة طويلة مع المرض.

رئيس الاتحاد، وأعضاء المكتب التنفيذي يتقدمون بخالص العزاء والمواساة من الأديبة سوزان إبراهيم، ويسألون الله الرحمة للفقيدة والجنة، الصبر والسلوان لأهلها.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

ما أشـــبه الليلة بالبارحة

•أ.محمد حديفي

للجلاء هذا العام حضورٌ فارهٌ وطعمٌ مختلف، فكل شبرٍ من هذه الأرض الطاهرة يحرره جيشنا العربي السوري البطل يذكرنا بأمجادنا التي خلت، وبالإرث البطولي الذي خلّفه الآباء والأجداد، وبجذورنا الكريمة والأصيلة والنقية الضاربة في أعماق الأرض، والتي يسري نسغها في عروقنا كسوريين لهم من الإباء والعزة والأمجاد الموروثة ما يجعلهم متميزين في تقديس تراب الوطن، وحضورهم الدائب والدائم لتقديم الدماء رخيصةً في سبيله، كي يظل نقياً طاهراً من كل دنس واستلاب...

بالأمس والأمس المقصود هنا بعيدٌ إلى حد ما، ولكنه خالدٌ في أعماقنا، ويكاد يعيش حياً في ذاكرتنا، ويسري في عروقنا مع كريات الدم، لأنه مصدر فخارنا واعتزازنا، ويترجم صدق انتمائنا لهذه الأرض، وحضورنا الدائم للدفاع عن قدس ترابها وأسوارها العالية، التي تسامقت رفعةً وعلواً، أسهمت فيه الأجيال عبر سنين وسنين حتى غدا يطاول السماء ألقاً وزهواً وصلابةً وشموخاً..

في ذلك الأمس كان التاريخ شاهداً ويسجل، وما زالت شواهد المعارك وأضرحة الشهداء، والنصب التذكارية المتناثرة على مساحة الأرض السورية ماثلةً أمامنا نحن الأبناء والأحفاد، حيث وقف الكماة من فرساننا الراحلين نحو الخلود وذرا المجد، وهم يحملون بيارق العزة والفخار وقدس الانتماء، وقفوا وصدورهم مكشوفة وعارية، ورماحهم مشرعة، وأعلنوا إن هذه الأرض ومنذ أن ورثناها حلالٌ لنا وحرامٌ على أي مغتصبٍ تسوّل له نفسه أن ينظر إليها بغير مهابةٍ واحترام، وكل ذلك والتاريخ الذي كُتبت صفحاته بمداد الدم، يخبرنا بأن ذلك العثماني الذي حكم بلادنا لفترة مدتها أربعة قرون لم يترك خلفه إلا الفقر والتخلف والكثير من الذكريات التي انغرست في أعماق العرب آنذاك، والتي كانت طافحةً بالمنغصات جراء ظلم هذا العثماني وبطشه وجبروته، وكذلك سعيه الدائم والدائب لإفقار مجتمعنا وزرع الفتنة بين أفراده، وإبعاده قدر الإمكان عن منابع الحضارة التي لا تنمو إلا في المجتمعات الحرة التي تكون سيدة قرارها فوق ساحات أرضها وترابها الوطني...

ومما يلفت الأنظار الآن وفي أيامنا هذه، أن هذا العثماني ما زال يجتر ذكرياته السالفات ويراوده الحلم القديم بالعودة لاستلاب أرضنا وإعادة السيطرة عليها من جديد، إلا أن كل محاولاته البائسة واليائسة ارتدت عليه فشلاً ذريعاً حتى غدا مشغولاً بمداواة جراحه التي تتسع يوماً بعد يوم...

وما أن كنسنا هذا العثماني من فوق هذه الأرض حتى فوجئنا بمستعمر آخر، له المطامع نفسها والطموحات نفسها، وهو المستعمر الفرنسي وشريكه الإنكليزي اللذان فرضا معاهدة (سايكس بيكو) وبموجبها اقتسما الأرض العربية بينهما، وبموجبها أيضاً تم احتلال فلسطين بتآمر واضح من المملكة المتحدة /بريطانيا/ التي حققت حلم اليهود باحتلال الأراضي الفلسطينية كما وعد بذلك «آرثر بلفور»....

أما سورية وهي هنا بيت القصيد، فقد تداعى الأبطال فيها وهم كثر، وعقدوا العزم على مواجهة فرنسا وجيوشها الجرارة، وترساناتها الحربية الضخمة آنذاك، والتي تصدى لها في الجهة المقابلة أبطال لا يملكون إلا السيوف والرماح، وبعضاً من بنادق لا تستطيع مجابهة الطائرة والدبابة والمدفع...

ولكن تصميم الثوار الحقيقيين وإرادتهم الفولاذية، وعزمهم على تحرير الأرض، وكنس كل الغاصبين الدخلاء أثمرت جلاءً في نهاية المطاف يحق لنا أن نحتفي به ونحتفل في ذكراه لأنه يُشكّل رمزاً من رموزنا التي نفخر بها ونعتز.

ولن ننسى كيف أن سورية آنذاك هبت عن بكرة أبيها وشكلت قيادتها لتعلن الثورة السورية الكبرى حيث اجتمع زعماؤها وهم كثر، نذكر منهم إبراهيم هنانو في الشمال والشيخ صالح العلي في الساحل وحسن الخراط في دمشق والغوطة وأحمد مريود في الجولان وكثيرون غيرهم، وأعلنوا قيام ثورتهم بقيادة سلطان باشا الأطرش الذي أدار دفة الثورة بحكمة واقتدار، وواصل التنسيق مع بقية القادة فوق الساحة السورية بأكملها، فدارت رحى المعارك وكانت ضاريةً وقاسية وطاحنة في كثير من الأحيان وكان أشهرها الكفر والمزرعة والمسيفرة ومعارك الغوطة والساحل وحلب وريفها والجزيرة السورية، إضافةً لمعارك حمص وحماة، وبعد أن اكتشف المستعمر الفرنسي أنه أمام رجال يعشقون الشهادة ويسعون إليها، أدرك أن بقاءه فوق هذه الأرض ما هو إلا نزف دائم لقواته وجيوشه فأذعن لإرادة الشعب السوري، وحمل خيباته وانكساراته ورحل...

هؤلاء هم السوريون، في جيناتهم إباءٌ متجذر، وفي دمائهم نسغٌ وُلِد حراً وسري في عروقهم حراً، وسيبقى كذلك ما دام فوق هذه الأرض أباةٌ شرفاء... وما أشبه الليلة بالبارحة.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المســؤول:
د.نضـال الصـالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
محمد حديفي

مديـر التحريـر:
د.حســن حميـد

الهيئة الاستشاريـة:
أنيسة عبود -د. حمدي موصلي-
كوليت خوري-محمد حمدان-
مريم خيربك - د. نزار بني المرجة -
نذير جعفر

هيئة التحريـر:
د.سليم بركات- غسان كامل ونوس-
فادية غيبور- لينا كيلاني-
د.يوسف جاد الحقّ

الإشراف الفني:
نضــال فهيم عيــسى

رئيس القسم الفني:
مهــا حســن

"الملتقى الأدبيّ الثقافيّ الدوريّ لفرع دمشق لاتّحاد الكتاب العرب يعقد جلسته الثانية"

تتمة ص١

قاسم فرحات، أحمد الوزير، رنا الإبراهيم، نور الدين الموعد، زينب الشيخ حسين، فاطمة إبراهيم محمد، نائل عرنوس، محمد سعيد أبو شعر، رائدة الخضري، أحمد رمضان، محمود حامد، د.سليم بركات، أمين اليوسف، أحمد علي هلال، د.إبراهيم زعرور، ريم بدر الدين بزال، حسام المقداد، محمد عيد الخربوطلي، سوسن رضوان، عبير عطوة، رحاب عبد القادر، أحمد عكاوي، رزان عويرة".

وشهد الملتقى اثنتي عشرة مشاركة أدبية في الشِّعر والقصة، افتُتحتْ بالأسماء الستة، التي أُعلنتْ في بطاقة دعوة الملتقى، إذ ألقت الشاعرة عواطف بركات قصيدتين من شعرها، هما: "عيناك"، و"القبلة لا تشبه الحرب"، تلاها القاص محمد سعيد أبو شعر، الذي قرأ قصة بعنوان: "ثلاث كلمات"، وألقى الشاعر قاسم فرحات قصيدة بعنوان: "نهار"، تلته القَاصة أسرار جغصي، التي قرأت قصة للأطفال بعنوان: "رائد الفضاء سمسم"، ثم قدّم لنا القاص أيمن الحسن شرحاً مُبسّطاً مع الشواهد لمصطلحين نقديين، هما: "النصّ، والتناص". وألقى الشاعر حسام المقداد قصيدتين من شعره، الأولى بعنوان: "خطوط حمراء"، والثانية مطلعها: "لا لست أرضى عن دمشق بديلا..."، أما القاص الشاب أحمد عكاوي، فقرأ قصة بعنوان: "حكاية مخاض". وتتالت المشاركات الأدبية من الحضور، فألقت الشاعرة نور الموصلي قصيدتين قصيرتين، هما: "سليلة هذا الوهج"، و"على أهبة التيه"، وألقى الشاعر أمين اليوسف قصيدة بعنوان: "الأوج"، ثم قدّمت الشاعرة رائدة الخضري قصيدة بعنوان: "صلاة البنفسج"، وقرأت القاصة رزان عويرة قصة بعنوان: "أين عقلي؟"، وألقى الشاعر الشاب أحمد رمضان قصيدة مطلعها: "وسألتها عن اسمها فرنت إلى قمر السماء..."، كما قرأ قصيدة بعنوان: "ستبقى بقلبي"، وأخيراً ألقت الشاعرة سهير فليون قصيدة بعنوان: "عالم".

ثم فتح باب التعليق النقدي على المشاركات، فكنا مع مداخلات لكل من السادة: "أحمد علي هلال، وأيمن الحسن، ونائل عرنوس، وقحطان بيرقدار، وحسام المقداد، ورائدة الخضري"، وغيرهم.

وإلى اللقاء في يوم الاثنين الأخير من شهر نيسان ٢٠١٦.

وشكراً جزيلاً لكل من حضر وشارك وتفاعل مع الملتقى.